الفصول المجنونة

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني: E-mail : unecriv@net.sy

aru@net.sy

موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت

http://www.awu-dam.org

تصميم الغلاف للفنانة : سمر رمضان

❑❑

غاليــة خوجــة

الفصول المجنونة

– قصص للأطفال –

من منشورات اتحاد الكتّاب العرب

دمشق – 2001

الإهداء

إلى كلّ الأطفال الذين ولدوا
وسيولدون
ولم يولدوا بعد..
إلى براءتهم
وهي تكبر
مع براءة الكلمات
لتظلّ تقرأ هذه القصص..

كلمات البحر

خلف الجبال،

كان البحرُ يُلاطِمُ الصــخورَ والشــواطئ.. يُوزّعُ على الرمالِ والحصــى أمواجَهُ، وأصــواته، وحكاياتِهِ الكثيرةَ التي لم يسمعْها أحد.

ما زال البحر بين المدِّ والجَزْر..

للبحرِ قصـــصٌ يرويها كلَّ يوم، يتناقَلُها الموجُ والرملُ والحصى والفضاء والنجوم والليل والنهار..

-ألا تسمع تلك الوشوشةَ يا عصام؟

-تقصدين أصواتَ الأمواج؟

-بالضبط.. هل تستطيع أنْ تتخيّلَ ما ستحكيهِ لنا الأمواجُ؟: أسألُكَ أنا كاتبةُ القصة، فتَشْردُ وأنت تقرأ، وبسرعة تجيبني:

-ربّما تقول الأمواجُ: أنا حزينةٌ لأنّ البشرَ يلوّثون مياهي.. فالأوساخُ والنفاياتُ تُزعجني.. أو، تقول: أنا فرحةٌ لأنكم تعرفون السباحةَ، فتزورونني في العطل.. تلعبون، وتمرحون، وتبتهجون، فأمرح وألعب وأبتهج معكم.

تصمتُ قليلاً وتُفكّر.. فأسألُكَ:

-فقط هذه هي كلمات البحر؟!

تنظر إليَّ بعمق، وتجيب:

-أتوقّع أنّ البحرَ مليءٌ بحكايات قديمةٍ وجديدة مثلما هو مليءٌ بالمرجان والأسماك والمحار والنباتات والأسرار.. أذكرُ ما حكتْهُ لي جدَّتي ذات

يوم.

-وماذا حكَتْ جدّتُكَ؟

تنظرُ في المدى مُسْتَذْكِراً، ثُمَّ..، تَسْردُ لي:

-ذاتَ يوم،

قضَـــيْنا نُزهتَنا في أحد الجبال المشـــرفةِ على البحر.. كانت الأشـجارُ كثيفةً، والأعشـابُ تهتزُّ مع الهواء.. والأزهارُ البريّـةُ تفترش التربـة بألوانٍ متعددة تُشـــعركِ وكأنّ العطرَ يفيضُ بالأخضـــرِ والأزرقِ والأحمر والليلكي والأبيض والأصـــفر والبرتقالي.. لَعبْنا بالمضـــارب.. والكرةِ، والأرجوحةِ التي نصَـبَها والدي بين شـجرتَيْن عملاقتين.. وعندما تعبْنا جلسْـنا للطعام.. بعدَ ذلك، رحْنا نتأمل الطبيعة.. الدعسوقات الحمراءُ المنقّطةُ بالأسـود كانت تسـير على التربة، بين الحشـائش، وعلى الجذوع والأغصـان.. صـوتُ العصـافير والنوارس كان أنشـودةً تشـترك في تأليفها وعزفها أصـــواتُ الرياح التي تُســـقط بعضَ حبّاتِ

التوت البرّيّ عن الأشـجار.. يومَها.. ركضـتُ وراء الفراشـــات.. راقبتُ النمل وهو يعمل دون تعب.. حدّقتُ إلى السـماء الجميلة وهي تحضـن الشـمسَ الـذهبيـة.. طيورٌ كثيرة ومتنوعـة كـانـت تحلّق.. وفجأةً..

ســـمعتُ صـــراخَ أمي.. ركض أبي وأخوتي وجدتي.. ركضـتُ إليهم.. كاد أخي الصـغير يغرق لو لم يرمِ أبي نفْسَـهُ في البحر وينتشـله من الموج.. وبعدما حَمدْنا الله على سلامة أخي، قالت جدتي:

البحر يحبّ الإنسان الجريء. البحارة والصيادون والغواصـون أصـدقاءُ الموج.. لأنهم شـجعان.. وأنتم أيضاً..

–وهل أنا مثلهم شـجاع يا جدتي؟: سـأل أخي الصغير الذي ارتاح قليلاً بعد الإنقاذ.

قالت جدتي:

–طبعاً وأنت أيضــاً لأنك غامرْتَ وخضْــتَ في البحر.. لكنْ، مَنْ لا يُجيدُ السباحةَ، عليهِ أنْ لا ينزل وحيداً إلى الموج، لأنه ســيغرق.. وســيُســبِّبُ لأهلهِ حزناً دائماً..

لحظتَهــا، خجِــلَ أخي واعتــذر للجميع، هنــا، تدخّلتْ جدتي ونظرتْ إلينا قائلة:

–سأروي لكم حكايةً عن البحر.

ســكتْنا كُلنا، وأصــغَيْنا بانتباهٍ وشــوقٍ شــديدَيْن لكلماتِ الجدة المصحوبةِ بسُعالٍ خفيف:

–في سالف الأزمان،

كان البحر دائمَ التوتّرِ والهيجان، يُغرق البشـــرَ والمراكب.. وكانت مدينة من المدائن القديمة تعاني كثيراً من هذه المأساة.. لم يُفلح السَّحَرةُ والمشعوذون في تهدِئةِ البحر..

وعنـدمـا احتـار أهـل تلـك المـدينـة في أمرهم..

أرسلوا وفداً منهم إلى المعبد..

كان كاهنُ المعبدِ رجلاً عجوز، مُلْتَحِياً، طويلَ القامة. فتَحَ للوفْدِ بوابةَ المعبدِ المزخرفة، المضـــاءة بالشموع، واستقبلَهُ في قاعةٍ يتصدّرها تمثالٌ ضخم..

قال أكبر رجلٍ من الوفد:

-أيها الكاهن، ألا تعلم كيف نكســب صــداقةَ البحر؟

هزَّ الكاهنُ رأسَــهُ، فارتجفتْ لحيتُهُ، وتمايلَ لهبُ الشموع القريبة من التمثال. وبوقارٍ، حرّكَ شفتَيْه:

-أعلم كيف يكسب الإنسان صداقة البحر..

-مـا دمْتَ تعلم، فلمـاذا تَدعُنـا نُلاقي كلَّ تلك الكوارث؟: سأل واحدٌ من الوفد.

صــمتٌ مخيف ســاد في القاعة، لم يقطعْهُ غيرُ خطواتِ الكاهن الذي دخلَ إلى غرفة أخرى، ثم خرج ومعه حمامة..

جلس الكاهن على كرسيّه، حاضناً الحمامة بيدَيْهِ، وقال:

–إنّ البحر يطلب أُضحيةً.

–نحن مستعدون: بصوت واحد، قال أفرادُ الوفْد.

–ولكنّها أُضحيةٌ بشرية.. عليكم أنْ تضحّوا بشخصٍ منكم كلَّ سنة.

ارتبكَ رجالُ الوفد. تشاوروا في كلامِ الكاهن، ثم وقف كبيرُهُم ليقول:

–نحن موافقون.. فمَنْ منّا سيكون الأُضحية الأولى؟

قال الكاهن:

–هذا ما سيقرّره التمثال. سأُطلِقُ الحمامة في فضاء القاعة، ستدور ثلاث مرّاتٍ حول رؤوسنا، وستقف على رأس التمثال.. فإذا تحرّكَ رأسُ التمثال نحو اليمين ونزفتْ عينُهُ اليُسْرى دماً، فيعني ذلك أنّ

البحر يريد دائماً ابنةَ واحدٍ من أهل المدينة، وإذا تحرَّكَ رأسهُ نحو الشمال وذرفتْ عينُهُ اليُمْنى دمعاً، فهذا يعني أنّ البحر يريد دائماً ابنَ واحدٍ من أهل المدينة.

–وما المقصود بـ(دائماً)؟: استفْهَمَ رجلٌ متوسّط العمر.

–أي، على أهل المدينة أنْ يضحّوا كلَّ سنةٍ بفتاة إذا تحرّك رأسُ التمثال نحو اليمين، بينما يضحّون كلَّ سنة بفتىً إذا تحرّكَ رأسُ التمثال نحو الشمال.

ولما قبِلَ الوفْدُ بهذا الحل، أطلق الكاهن الحمامة..

رفّتِ الحمامةُ البيضاء المكحّلةُ بسوادٍ شفيف في فضاء القاعة، دارتْ ثلاثَ مرات حول الرؤوس، وما

إنْ وقفتْ على رأس التمثال، حتى استدار نحو اليمين ونزفتْ عينُهُ اليسرى دماً سالَ على وجه التمثال وذقنهِ وخصْرهِ وقدمَيْهِ..

شكَّل الدمُ بقعةً كبيرة..

ولم يتوقف النزيف حتى طارتِ الحمامة عائدةً إلى الغرفة.

-وكيف سنختار الأضحية؟

أجاب الكاهن:

-بعد ثلاثة أيام، وقبل الغروب بقليل،

تجمعون كلَّ فتيات المدينة على أحد الشواطئ، وسأطلقُ الحمامة.. والفتاةُ التي تقف الحمامة على رأسها ستكون الأضحية المباركة.

رضي الوفد بهذا القَدَر. ودّعوا الكاهن، وبمنتهى الحزن، رجعوا من حيث أتوا..

كان الناس ينتظرون.. وصَلَ الوفْدُ، وأخْبرَ

سكان المدينة بالحلّ..

ثلاثةُ أيام ســـوداء مرّتْ على المدينة.. خلالها، لم يخرجْ أحدٌ من بيته.. كلُّ عائلة كانت تودّع بناتِها الوداع الأخير..

انتهتِ المُهْلَةُ،

وفي اليوم الثالث كانت فتياتُ المدينة مجتمعاتٍ على الشــاطئ الرملي.. بينما اصْــطَفَّ أهل المدينة مثل سور عظيمٍ حول الفتيات..

كان الأهل يجهشـــون بالبكاء.. والفتيات كُنَّ ينظرْنَ بحُزنٍ وخوف.. وحدَها ابنـةُ الملك كـانـت تبكي..

بعد قليل،

ســـيكون الغروب ضـــيفاً على البحر والجبال والغابات والصحارى والقرى والمدن..

وصل الكاهن ومعه الحمامة..

ازداد الرعبُ في قلوب الجميع، ما عدا فتاة واحدة بدأت تبتسم.. وبين سكونِ الناس وصوتِ البحر، أطلق الكاهنُ الحمامة..

حلّقتِ الحمامة بعيداً.. فوق المراكب الراسية، فوق أشجارِ الغابة القريبة، فوق الرؤوس..

كانت أشعّةُ الغروب تتخلّل أجنحة الحمامة وتصل إلى الموج وعيونِ الناس.

بسرعة أكبر، حلّقت الحمامة فوق رؤوس الفتيات.. حلّقت مرتين، وفي الثالثة حطّتْ على رأس الفتاة المبتسمة.. فصرخ أبواها وركضا إليها..

كانت الفتاة ابنة وحيدة لعائلة فقيرة.. علّمتْها أمّها الصبر، ووالدها الصياد علّمها كيف لا تخاف البحر..

وقبل أن يصل والداها إليها، رمَتِ الفتاة نفسَها في الموج و.. سبحتْ..

موجةٌ تغطّيها، موجةٌ تقذفُها، وموجةٌ تسحبُها

إلى أعماقها.. سبحتِ الفتاةُ حتى غابتْ عن العيون. أُمُّ الفتاةِ كانت تذْرو الرمل على رأســها وتصــرخ.. ووالـدها كـان يبكي بحُرقـةٍ وهو يحـدّق في الموج.. كان أهل المدينة يهوّنون مصـــاب الرجل والمرأة.. وكانت أشـــعة الغروب تخْفُتُ تدريجياً.. تخفُتُ حتى تغيب الشمس ويظهر الليلُ كجثّةٍ هامدة..

لم يكنْ يضـيءُ العتمةَ سوى مشاعل قليلة..

وبينمـا همَّ الجميع بـالعودة إلى منـازلهم، هـدَرَ البحر، ولمَعَ من موجاتهِ ضـــوءٌ هائل كأنـه القمرُ يسقط الآن من مكانه ليسبح..

التفتَ النـاس إلى البحر.. لم تمُتِ الفتـاة، بـل، تحوّلتْ إلى حوريّةِ ضوءٍ تتقدم نحو الشاطئ.. تذْرفُ دمعاً يصير لؤلؤاً..

ركض والـدا الفتـاة إليهـا، لكنهـا.. عـادتْ إلى أعماق البحر.. حاول أبوها الصـيادُ أنْ يرميَ نفسَــه في الماء.. أمسـكتْهُ زوجتهُ وأمسـكَهُ الناس.. حينَها،

صاح الكاهن:

–هيا.. وليأخذْ كلٌّ منكم نصيبَهُ من اللآلئ.

بعدما جمع كلٌّ منهم ما كيفيه من اللآلئ، غادر الجميعُ الشاطئ اللؤلؤيَّ عائدين إلى المدينة..

كانوا موكباً حائراً يعبرُ الطرقات..

منذ تلك الليلة،

لم يعُدِ البحر يُغرقُ الكثير من البشـر والمراكب، ولم يعُدْ بحاجة إلى الأضاحي..

منذ تلك الليلة،

وحوريةُ الضـوءِ تزور مدينتَها (مدينة اللؤلؤ) كلَّ سنةٍ مرَّةً.. تبكي، تاركةً دموعها لآلئ على الشواطئ وفي المحار..

–حكايةُ جدتِكَ اختصـــرتْ كلَّ كلامِ الموج يا عصام.

–هل أعجبتْكِ..؟

وقبل أن أجيب،

يقترب البحر منا.. باستحياءٍ ينظر إلينا.. يرشقنا بموجةٍ خفيفة، ثم يعود إلى مكانه.. هناك.. خلف الجبال، لِيُلاطِمَ الصخور والشواطئ، ويوزّع على الرمال والحصى والفضاء حكاياته الكثيرة..

أين أمّي؟

غداً عيد الأمّ.

وها هي (ساندي) تجلس حائرة بين كتبها، تفكر كيف ستشتري لأمِّها هديةً وهي لا تملك نقوداً.

أبوها يعمل بإخلاصٍ وجد ونشـــاط، ومع ذلك، عائلتها فقيرة.

كانت (ســـاندي) تلميذةٌ مجدةٌ ومهذبة ومحبوبة من مدرّساتها وصديقاتها.

كانت صديقتها (ندى) قد اشترتْ لوالدتها خاتماً

ذهبياً أحضــرتْهُ معها إلى المدرســة لتُرِيَهُ لزميلاتها. كان الخاتم يلمع مثل شمسٍ تتوسّطُ الموجَ. تحسّرتْ ســـاندي وهي تُحدّق في الخاتم المتوهّج، وفي هدايا صديقاتها الأخريات. (فاطمة) اشترتْ قميصاً حريرياً لأمها. (عبير) اشترتْ عطراً. و(ريما) اشترتْ حقيبةً جميلة. وحدَها (عنود) اشترتْ لأمها كتاباً.

ما زالت ساندي في غرفتها حزينةً، تنظر حولها، فيقعُ بصــرها على قصــة (ســندريلا) تتناول القصــة وتبدأُ تقرأها، وما إنْ تصل إلى الفقرة التي تظهر فيها الســاحرة لســندريلا، حتى تُغلقَ القصــة، وتحلم بزيارة الساحرة كي تطلب منها هدية لأمها.

لن يكلّفَ طلبي أكثر من كلمتَيْن تنفخُهمــا الساحرة على عصاها لتكون هديتي موجودة: همستْ ساندي لنفسها بحزن، وعادتْ لتفتحَ القصة، ثم ارتفع صــوتُها: أيتها الســاحرة، أرجوكِ اخرجي من قصــة ســـندريلا إليّ. لن أطلب منكِ غير كتاب لأمي، أو

فستانٍ بسيط:

قالت ساندي وهي تفتح قصة سندريلا وتخاطب الصفحة التي رُسِمَتْ فيها الساحرة.. فجأة، تخرج الساحرة من الصفحة.

الساحرة بفستانها الجميل، وبتاجها الذهبي المُرصَّع باللؤلؤ والعقيق، وبصَوْلَجانها السحري تقف على طاولة ساندي المسحورة بحضورها. لا تُصدّق ساندي ذلك، فتنظر إلى الصفحة، فتجدها بيضاء، فعلاً غادرتِ الساحرة مكانَها.

تدلك ساندي عينَيْها قائلةً:

-هل أنتِ ساحرةٌ حقيقية؟

-أظنُّني كذلك يا عزيزتي، أتسمعين صوتي؟

-نعم، أسمعكِ، وما دمتِ قد استجبتِ لي في الحضور، فأرجوكِ أن تُلبّي لي طلباً بسيطاً.

-لقد خرجتُ لألبي لكِ طلبك:

قالت الساحرة وأشارتْ بصولجانها اللامع إلى علبة ألوان ساندي، وإلى ورقة كرتون مقوى، ثم اختفت بالسرعة التي ظهرتْ فيها ذاتها.

حدّقتْ ساندي في الصفحة، فرأتِ الساحرة في مكانها تقف جامدةً أمام سندريلا.

-أين الهدية؟ صاحت ساندي في وجه الساحرة، ثم وضعتِ القصة على الطاولة وشرعَتْ تبكي..

لم تغادر الساحرة مكانها مرةً ثانية.

مسحتْ ساندي دموعَها، وانتظرتِ الساحرة دون أمل.

بعد لحظات،

فكرت ساندي بإشارات صولجان الساحرة، فقفزتْ إلى علبة الألوان، أحضرتْها مع ورقة الكرتون المقوى، وبدأت ترسم.. لم تنهض ساندي عن طاولتها إلا بعدما رسمتْ وردةً وقلباً وطفلةً تُقدّم

لأمها هدية.

ابتسمتْ ساندي للبطاقة التي أصبحت جاهزةً، وبعد منتصف الليل ذهبتْ إلى فراشِها لتحلمَ بفرح أمها.

في الصباح،

ارتدت ساندي ثيابها، حملت حقيبتها، وذهبت إلى المدرسة..

ها هي وصديقاتها في الاستراحة. تفتح ساندي حقيبتها، وتُخرج البطاقة..

-أوه، ما أجملها يا ساندي، من أين اشتريتِها؟ بصوت واحد قالت صديقاتها.

-لم أشترِها، بل أنا التي صنعتُها.

-حقاً، أنت رسمتِها! يا لك من فنانة. قالت عنود.

-أنتِ لستِ متفوقة فقط، بل أنت فنانة يا

ساندي. قالت ندى وريما وعبير وفاطمة.

ضـــحكت ســـاندي من كل قلبها لِما أنجزتْهُ، فضحكت معها صديقاتها.

–أقترح أن ترسمي بطاقاتٍ وتبيعيها يا ساندي. قالت عبير.

–فكرة جيدة. قالت فاطمة.

–وأنا أول من ستشتري منك يا ساندي. قالت ندى وهي تُخرج من جيبها بضع أوراق نقدية.

عندئذٍ، أخرجتْ كلُّ صـــديقات ســـاندي أوراقاً نقدية.

عدّت ساندي النقود، فوجدتْها كافية لشراء فستان بسيط لأمها.

–أنا موافقة، وغداً سأحضر لكلٍّ منكنَّ بطاقة.

لم تعرف ســـانـدي كيف انتهى ذلـك اليوم المدرســي، كما لم تعرفْ كيف كانت واقفةً أمام أحد

المحلات، تنظر إلى الفساتين وأسعارها.. بين تلك الأزياء تشاهد فستاناً مناسباً، فتدخل لتشتريه قائلة في نفسها:

اليوم سأصنع كثيراً من البطاقات، وسأرسمها بمهارة فنية بحيث تُعجَب بها زميلاتي.

ساندي الآن تخرج من محل الأزياء وهي فرحة بهديتها التي لم تدفعْ فيها كلَّ ما معها من نقود.. وبينما تركض في الشارع المليء بدكاكين الحلوى والملابس والألعاب، يُلفت نظرها دكان لبيع الورد، فتدخل وتشتري وردة جميلة، ثم تركض قاصدة البيت..

.. كانت حذرةً من السيارات، حذرةً من أنْ تصطدمَ بأحد المارة، حذرةً من أنْ تسقط..

تصل ساندي إلى البيت وهي تُنادي:

–ماما، ماما، كل عام وأنت بخير.

لا أحد في البيت.

ليس من عادة والدة ساندي الخروج في مثل هذا الوقت من البيت.

–تُرى، أين أمي؟ صاحت ساندي وأجهشت في البكاء.

أكثر من ســـاعة وهي تنتظر. خطر على بالها أن تسـأل الجيران عن أمها. للأسـف جميع الجيران لم يروا والدتها طوال هذا اليوم.

عادت ســـاندي إلى البيت وهي تنادي بأعلى صوتها:

–ماما، ماما، أين أنتِ يا أمي؟

وما إنْ دخلتْ ســـاندي البيت حتى وجدتْ أمَّها ترتدي الفستان الذي اشترتْهُ لها.

ركضت الفتاة إلى أمها ضاحكة.

أحضـــان الأم كانت أكثر دفئاً وجمالاً من كل

حدائق الورد في العالم.

–كم هو جميل عليك. قالت ساندي.

–إنـه جميـل فقط لأنـك أنـتِ التي اختَرْتِـهِ، يـا روحي.

قبّلتْ ســـاندي يد والدتها، وذهبتْ إلى غرفتها لتُحضر بطاقتها التي رسمتها.

ها هي ساندي تعود حاملةً الوردة والبطاقة.

تُقبّلها أمُّها شاكرةً، وتقول:

–لماذا نسيت هديتي التي أحضرتُها لك؟

–عفواً أمي، لم أنتبهْ، أين هي؟

–هناك، على الطاولة.

تركض ســـاندي إلى هديتها المغلَّفة بورقٍ ملونٍ لامع. تفتح جزءاً من الغلاف، فتجد كتـاباً، وبينمـا تستمرُّ ساندي في خلْعِ الورق، تقول:

لم أتوقّعْ أن يكون لي هدية في مثل هذا اليوم.
يا لكِ من إنسانة رائعة يا أمي.

في هذه الأثناء،

تدخل الأم المطبخ لإعداد ما يلزم للاحتفال.

بينما ساندي تقفز من شدة الفرح وهي تقول:

–الله، ما أجمل هديتك يا أمي.. الله، مجموعة قصص بعنوان (الفصول المجنونة)..

النايُ والحوريّة

كان يا ما كان ...

في سالف العصر،

أو في هذا الزمان..

كانت هناك قريةٌ ســـاحليةٌ جميلة، يوقظها غناءُ الأطيار والعصـــافير والبلابل، وأشـــجارُها المتنوعة، اعتادتْ على أصـــوات الحيوانات، وعلى أصـــوات الناس، وعلى هدير البحر ورائحتهِ المالحة.

..مشـــهدُ البحرِ رائعٌ في كل الأوقات، وفي كل

الفصول.. والأمواجُ دائماً تحمل المراكب...

لم ترجع شباكُ الصيادين، يوماً، بلا سمك.

وكانت في هذه القرية ابنةٌ وحيدة لأبوين فلاّحين، تقضي أوقاتها بين المدرسة والحقول والشاطئ.

وكلّ صباح،

تستيقظ مع صياح الديك، تُطعم الدجاجات، وتعلف الغنم، ثم تذهب إلى المدرسة. وحين تعود، تتناول وجبة غذائها بسرعة، تكتب وظائفها... بعد ذلك، تلحق بوالديها إلى الحقل. وعندما لا تجد ما تساعدهما به، تحمل النايّ وتذهب إلى الشاطئ.. تلعب بالرمل والحصى. تصنع أشكالاً مختلفة.. وإذْ تتعب، تجلس على الرمال القريبة من الموج، وتعزف على نايها ألحاناً مُحزنةً حيناً، ومُفرِحةً حيناً آخر..

وفي أحد الأيام،

وحيدةً، جلستِ الفتاةُ على الشاطئ، وأصابعُها الناعمة تتحرك على فتحات الناي.. هنا، لحظةُ ما قبْلَ الغروب منعشة، والمراكب الراسية تميل مع الموجات، والمراكبُ البعيدةُ تغيب رويداً، رويداً، عن ناظريْها...

وبينما تعزف..، نُحسّها تُفكر بحكايةٍ أُمّها التي رَوَتْها لها منذ فترة، حيث شابُّ الحكاية أراد أن يصبح أغنى إنسانٍ في العالم، فلبّتْ رغبتَهُ جنيةٌ أو ساحرة، وجعلتْ من أناملهِ لغزاً، كان كل ما يلمسه يتحول ذهباً، حتى الخبز والطعام الذي سيأكله... تعزف وهي تقول في نفسها:

=أنا أكره الطمعَ والجشعَ والأنانيةَ وحُبَّ المال. وكلّ ما أريده أنْ أجد شيئاً في هذه الحياة يكون أهمّ من كل شيء. أعرف أنّ الأرض مهمّة، والبحرَ مهمّ، والطبيعة مهمة، لكنني أريد أن أكون إنسانةً مهمّةً أكثر ممّا أنا عليه الآن.

تعزف الفتاة بكل حواســـها وكأنها تعزف كلّ ما تفكر وتحلم به.

وبينما هي منســـجمة مع الألحان والبحر وما يجول في نفسها، تشعر بصوت ما يناديها، لم يكن صوت أمها ولا أبيها.

-أنت.. هل تحبين المغامرات؟

-أوه، مـا أجملـكِ، أنـتِ حوريـة البحر، أليس كذلك؟: سألتِ الفتاةُ، وهي تقفز نحو الموج.

-نعم، أنا حورية البحر، هل ترغبين برحلة إلى أعماق البحر؟

=بالتأكيد، لكنْ أرجوكِ أنْ أعودَ إلى هنا بعد ساعة، أخشى أنْ أُسبّبَ المتاعبَ لِوالديّ.

-لن تســـتغرق رحلتُنا أكثر من ســـاعة: قالت الحوريةُ الجميلة وهي تُبعد شعرَها عن جبينها، وترفع ذيلَها فوق الماء، ثم تســـبح مقتربةً من الفتاة التي

غطّتْ نـايَهـا بـالرمـل، ومشـــتْ حتى غمر الموجُ ركبتَيها.

–هاتِ يدكِ: قالت الحورية للفتاة.

أعطتِ الفتاةُ يدَها للحورية التي ألبســـتْها خاتماً قائلة:

=لن تســـتطيعي الغَوْصَ والعودةَ إلى مكانِكِ إلاّ بهذا الخاتم السحريّ، فانتبهي جيداً، وكوني حريصـةً عليه كإصبعٍ من أصابعك.

–يا لهُ من خاتم رائع: قالت الفتاة.

–هل أنتِ جاهزة؟: سألتها الحورية.

–هيا إلى أعماق البحر..

وضـعت الحورية أصـابعَ إحدى يديها بأصـابع إحدى يديّ الفتاة، ونزلتا تحت الموج. الأســـماك بزعـانفهـا وألوانهـا وأحجـامهـا المختلفـة تمرُّ قرب الصديقتين، وقناديل البحر تضمُّ أذرُعها ثم تبسطها.

الموج هادئ في الأعماق.

وصلت الحورية والفتاة إلى شِعاب مرجانية كثيفةٍ وطويلة. مرجانٌ أبيض ومرجان أحمر، بينما تمرّ أسماك صغيرة ملونة.

كلّ ما في البحر من مياه وحيوانات ونباتات، كان صديقاً للحورية، يُسلّم عليها، ويسألها عن صحتها وأحوالها ويُرحّب بصديقتها الجديدة..

بين تلك الشِعاب المرجانية توجَدُ فسحةٌ تُنيرها محاراتٌ مفتوحة. تجلس الحورية مع الفتاة في تلك الفسحة، فتفتح المحاراتُ أغلفتها وتُغلقها، وكأنها تعزفُ ألحانَ الفتاة التي كانت تعزفها على نايها قبل وصولها إلى هذه الأعماق.

تضحك الفتاة، وتقول:

– إنها ألحاني.

تقول لها الصدفاتُ والحوريةُ:

–لولا هذه الألحان، لما كنتِ الآن بيننا.

نحن دعوناك لزيارتنا لأننا فهمنا ما تحلمين به.

لم تتوقّع الفتاة ذلك، ففرحتْ كثيراً، وقبّلتِ الحوريةَ والمحارات.

– إليكِ هذه الأسهم الثلاثة وهذا القوس: قالت ملكةُ المحارات.

مستغربةً، أخذتِ الفتاةُ القوسَ والأسْهُم.

–لا تخافي ولا تستغربي، فهذه الأشياء ستحقق حلمكِ: قالت الحورية.

–وكيف؟ سألت الفتاة.

بهدوء أجابت ملكة الأصداف:

–ستوصلك الحورية إلى كهفِ البحر، ستجدينَهُ مغلقاً بصخرة كبيرة، في الصخرة ثقبٌ، عليكِ أنْ تصيبي سهماً في ثقب الصخرة، ولديك ثلاث محاولات بعدَد الأسهم، فإذا لم ينجحْ سهمكِ الأول،

فســـتتحجّرُ قدماك، وإنْ لم ينجح ســـهمك الثاني فسيتحجر جسمك حتى الصدر، وإنْ لم ينجح سهمك الثالث، فســتتحجّرين كلّكِ، وســتصــبحين مســتحاثّةً بحريّة.

–وإذا نجحتُ من الســـهم الأول: قالت الفتاة بِتَحدٍّ.

–عندما تنجحين بأيّ ســـهم من هذه الأســـهم الثلاثـة، فســـتبتعد الصـــخرةُ عن فوهـة الكهف، وستدخلينه بسرعة، لتحضري ماهو موجود فيه.

–هل سأجد في الكهف حلمي وهو مختبئ مني؟ ما هذه الخرافة، لا، لا أريد أن أغامر، بل أريد أن أعود إلى الشاطئ. أُفضّل أن أعيش حياتي مع أمي وأبي في قريتي الجميلة، لا أريد أن أصبح مستحاثةً بحريّة: قالت الفتاة بعصبية، وهي تهمّ بالمغادرة.

لكن حورية البحر حاولت إقناعها:

–أنت شجاعة، ولا أظنك ستفشلين، كما أني لا أظنك ستهربين.

ترددت الفتاة، وحاولت استجماع قوتها لتسأل:

–وما الشـــيء المهم الذي ســـأغامر من أجله بحياتي؟إذا كان مالاً، فأنا لا أريده.

=لا إنه أهم من كل شيء تفكرين به: قالت ملكة الأصداف.

فكّرتِ الفتـاة مليّـاً.. وبكـل إرادتهـا اختـارتْ أنْ تتابعَ الطريقَ الذي يُوصـــلها إلى الحلم. قبلتِ الفتاةُ المغامرةُ وســـبحتْ مع الحورية إلى الكهف البحريّ المتثبّـت بقـاعِ البحرِ كحوتٍ كبير. أمـام صـــخرة الكهف عظامُ بشـــرٍ كثيرين، وأشـــخاصٌ متحجّرون كمستحاثاتٍ بحرية، بعضها رخْوٌ، وبعضها صلبٌ.

– آهٍ، أيتها الحورية، يبدو أنك خدعتِ أناســـاً كثيرين.

لوت الحورية ذيلها، وقفت أمام الفتاة معاتبة:

– أنا لا أخدع أصـــدقائي، أنت الوحيدة التي أتيت بها إلى هنا.

– هؤلاء المســاكين المتحجرون؟: ســألت الفتاة بقسوة.

– حضرهم سمك القرش، وأغلبهم من الصيادين الذين كانوا يرمون شــباكهم، فيشــدّها ســمك القرش، ويحضـــرهم إلى هنا، منهم من غرِق، فدفنّاه، ومنهم من أعطته ملكةُ الأصـــداف الأســـهم والقوس، علّه يستطيع الخروج والعودة. لم أكن أنا موجودةً في هذا البحر.

– صدقّتك، فهل ستتركينني وتعودين، أم سأبدأ وأنت معي؟: بثقة قالت الفتاة.

– لأثبت لكِ طيبة قلبي وصـــدق نواياي، فأنا سأساعدك حتى لو تحجّرتِ.

– كيف؟ بانفراجٍ سألت الفتاة.

– هاتِ الخاتم.

– كيف أعطيك الخاتم الذي سيساعدني في العودة؟.

– إذا ظلّ الخاتم في إصبعيك فسيتحجّر معك، أمّا إذا كان معي وتحجّرت، فبمجرّد أن ألمسك به فسيتلاشى الحجر عنك، وتعودين كما أنتِ.

اقتنعت الفتاة بصدق الحورية وإخلاصها، فناولتها الخاتم، ووقفت كفارسٍ في مكان مناسب من ثقب صخرة الكهف.

وقبل أن تضع السهم الأول في القوس، نظرتْ إلى المقبرة البشرية الراقدة في أعماق البحر.

وضعت السهم في القوس. حدّقت في الثقب، و.. أطلقتْ... لكنّ السهمَ اصطدم بالصخرة، وسقط قرب جمجمة ما...

تحجّرتْ ساقا الفتاة.

وببطء، بدأ الدمع يتساقط من عينيها..

-لا تأبهي، هيا حاولي ثانية: تصرخ الحورية.

بشجاعة، وضعتِ الفتاة السهم الثاني في القوس، وشدّته بقوّة، ثم أطلقته..

اصطدم السهم بحافّة الثقب.. كاد يدخل، لكنه سقط، و.. تحجّر صدر الفتاة حتى إبطيها...

-اطمئني، فالخاتم سيعيدك: بفرح وتشجيع قالت الحورية.

هذه المرة، بفرح تطلق الفتاة سهمها الثالث والأخير، وإذْ به يصيب الثقب..، فتتزحزح الصخرة العملاقة..، يذوب الحجر عن قدميّ الفتاة وصدرها، وقبل أنْ تدخل الفتاةُ الكهف، تُعيد الحورية الخاتمَ إليها قائلة:

–سندخل معاً.

تدخل الصديقتان الكهفَ البحريّ.

لم يكن فيه غيرُ صخورٍ ملوّنة، ونباتاتٍ مضيئة وغريبة.

لم تترك الحورية يدَ الفتاة.

وبعد مسافة، رأت الفتاة شيئاً، فصاحتْ:

– لقد وجدتُ حلمي.

على صدى صوتها، اجتمعتْ كائناتُ البحر من سمك ومرجانٍ وسراخس، حتى المحارات وملكتهم، وكذلك قنافذ وقناديل البحر.

تحمل الفتاة ذاك الشيء اللامع، تحدق فيه، فتراه قلماً ذهبياً، وبينما تتفحّص القلم، يأتيها صوتُ الحورية:

– الأجمل من الذهب في هذا القلم أنه يستطيع قراءة أفكارنا، وإذا لم تصدّقي، فاضغطي الزرّ

الأعلى في القلم، وستكتشفين كيف يقرأ ما تفكرين به الآن.

وما إن تضـــغط الفتاة على الزرّ الأعلى للقلم، حتى ينطق:

– أنـتِ يـا عزيزتي تفكرين كيف بوســـاطتي ستكتشفين وتفضحين المنافق والكاذب والغشاش.

بسرعة تقول الفتاة:

– صدقتَ يا عزيزي.. ففي هذه اللحظة بالذات، كنتُ أفكر بما قرأته لي.

– هل أدركتِ أين يكمن حلمكِ؟ أين تكمن أهم الأشياء في الحياة؟: سألت ملكة المحار.

– لقد أدركتُ أنّ العلم والعملَ والصـدق والحرية أهمّ ما في الحياة.. شـــكراً لكم جميعاً..: قالت الفتاة العائدة مع كائنات البحر إلى السطح.

كـان الجميع يرقص حولهـا، ويودّعهـا بمحبـة..

كلهم كانوا راغبين بعودتها إليهم.

تصل الفتاة الشاطئ... تعيد الخاتم السحريّ إلى الحورية، تقبّلها، وتتفقان على زيارة أخرى.

رفعت الفتاة نايَها من الرمال، وركضت بسرعة عائدة إلى بيتها، وبيدها القلم الذهبيّ الكاشف، الكاتب، والقارئ، بيدها أغلى وأهمّ شيء في هذه الحياة، لم تستغرق رحلة الفتاة في أعماق البحر أكثر من ساعة، لكنّها قابلةٌ لأن تُحكى على مدى الأيام.. أليس كذلك؟.

الخنساء في الحديقة

اعتدنا أن نذهب كل يوم جمعة إلى مكان نختاره معاً. كأن نزور أقرباءنا، أو أصـــدقاءنا، أو نذهب إلى منطقة أثرية نتعرّفُ من خلالها على حضـارتنا، أو نقضي وقتاً جميلاً وممتعاً في مكان طبيعي قريب من مدينتنا..

وحينما تختلف أسرتي على المكان الذي سنذهب إليـه، نلجأ للقرعـة، كلّ فرد منـا يكتـب رغبتـه على قطعة ورق صـغيرة ويطويها، ثم نخلط جميع الأوراق

خلطاً عشـــوائياً، ونترك أصـــغرَ طفلة في عائلتنا تســـحب ورقةً من بين هذه الأوراق. وعلى الجميع القبول بالمكان المسجّل على هذه الورقة.

حدث واختلفْنا في يوم الجمعة هذا.

أبي يريد الذهاب إلى بيت أخيه، وأمي تفضّـــل بيت أختها، وأخي (أيهم) يريد زيارة جدي وجدتي، وأنا أريد زيارة حديقة مدينتنا الكبيرة المسمّاة بـ (حديقة العظماء). وأختي (أحلام) مصـــرّة على القيام برحلة خارج المدينة.

كتب كلّ منا رغبته على ورقة صـــغيرة. خلطتُ الأوراق، وقلت لصغيرتنا نسرين:

– اسحبي لنا ورقة.

– لي شرط: قالت نسرين..

سألناها جميعنا:

=وما هو؟.

ضاحكة أجابت نسرين:

-على صاحب الورقة التي سأسحبها أنْ يشتري لي قطعة بسكويت وقطعة شوكولاته.

صحْنا جميعاً بفرح:

-موافقون.

أبصـــــارنا مفتوحة على آخرها وهي تراقب يدَ نســرين التي أخذت إحدى الورقات المطوية وناولتها لأمّي.

لم تبتســم كثيراً أمي وهي تقرأ الورقة. هذا يعني أنّ رغبتها في المكان الذي اختارته لن تتحقق.

-ماذا في الورقة يا أمي؟: قلتُ أنا وأخي أيهم وأختي أحلام.

بصوت لطيف، قالت أمي:

-إنها رغبتك يا (آية).. حديقة العظماء.

بفرحٍ لا يوصف، قبّلتُ نسرين:

–هاه.. هيه.. لكِ اليوم أطيب قطعة بســـكويت وشوكولاته.

وبسرعة هائلة هرع كلّ منا ليرتدي ثيابه.

ماما وبابا وأخي أيهم أصبحوا جاهزين.. ونسرين الواقفة على باب البيت الخارجي تستعجلنا:

–هيا يا آية ويا أحلام. لقد تأخّرنا.

بسـرعة أخرجُ مع أحلام من الغرفة، وننطلق مع العائلة.

الطقس معتـدل. وشـــوارع المـدينـة مزدحمـة بالسيارات وبالناس المنشغلين بعطلتهم.

نسـرين تتوسّـط أمي وأبي، ونحن نسـير خلفهم. من شارع إلى آخر، ونحن نمزح ونضحك. وفي أحد الطرقات اســـتوقفنا زجاج محل ألعاب. كانت خلف زجاج العرض دُمى كثيرة.. قطار صـغير يدور حول سكّته.. نمرٌ ورديّ يستند على سيارة كبيرة و(ميكي)

يجلس رافعاً إحدى ذراعيه وكأنه يودّع الجميع. عروسٌ ترتدي فستانها الأبيض الفضفاض تقف وراء القطار الصغير وهي تفتح عينيها الزرقاوين. وفي إحدى الزوايا يركب جحا على حماره بهيئة مضحكة جداً. بينما في مساحة أخرى يقف ثلاثة أبطال من مسلسل الأطفال (افتح يا سمسم).. "أنيس" ممدد في سريره وكأنه يعدّ الخواريف كي ينام و"بدر" المسكين ينظر في وجه "كركور"..

– أوه.. إنه أنتَ يا أيهم: قلتُ لأخي وأنا أشير إلى كركور.

بعجل قال لي أيهم:

وذاك أنت يا آية.

ثم ضحك وهرب بعدما أشار إلى جحا وحماره.

ضحكنا جميعنا واجتزنا الشارع.

لم نشعر كيف وصلنا الحديقة..

فعلاً إنها حديقة عظيمة.. بابُها منقسمٌ إلى نصفين: واحد للدخول، والثاني للخروج. أعمدةٌ أسطوانية تنتصب خلف الباب الكبير. مدخل مرمريّ على جنبيه أشجار ضخمة. الحشائش الطويلة تتمايل. ولونها الأخضر يتباهى بألوان الأزهار، منها البنفسج، والأقحوان، والقرنفل، والشقائق، الزنبق، والياسمين الأبيض والأصفر، و.. روائح عطرية يختلط فيها عبيرُ الريحانِ مع عبير الورد مع روائح أشجار الزيزفون وهي تُدلّي أغصانها المزدهرة.

صوتُ مياه النوافير يضفي على الطبيعة جمالاً أخّاذاً..

زقزقة العصافير في كل مكان.. والفراشات تطير بخفّة عجيبة.

استقبلتْنا الحديقة بمنحوتة حجرية، تقف كشخصية وقورة على قاعدة كتب عليها:

"تمثال الشيخ الرئيس ابن سينا".

انعطفنا نحو اليمين.. أطفال كثيرون يأتون بصحبة أهلهم لزيارة هذه الحديقة.

أيضاً، يجيء لزيارتها عربٌ وأجانب من مختلف البلدان.

نعبر مساحة أخرى نصب فيها تمثال الشاعر "أحمد بن الحسين" المشهور بـ (المتنبي). ورغم أنه منحوت من حجر، إلاّ أننا شعرنا بالشرر الذي في عينيه وهو يتطلّع نحو السماء بكبرياء وفخر.

تمثال آخر يقابل تمثال المتنبي.. ولا يفصل بينهما غير مساحة عشب صغيرة، في وسطها نافورة ماء. هذا التمثال يقف أمام تمثال المتنبي متحدّياً.. وكلماتُ قاعدته تقول: الشاعر (الحارث بن سعيد الحمداني) الملقّب بـ (أبو فراس الحمداني)..

كل شيء في هذه الحديقة يكاد ينطق..

مازلنا نمشي وكأننا في زمن آخر...

من هذا السحر، يأتينا صوت والدي:

–في زيارتنا السابقة تحدّثنا عن حياة (ابن سينا) و (المتنبي) و(أبو فراس الحمـداني)... وهـا نحن اليوم نقف أمام تمثال امرأةٍ عظيمة عاشـت جزءاً من حياتها في عصــر ما قبل الإســلام، وقضــت الجزء الأخير من عمرها في عهد الإسلام.

تمثال المرأة ينتصب بشموخ حزين.

قالت أمي:

– لا تقرؤوا بعيونكم، إقرأْ لنـا يـا أيهم المكتوب على قاعدة التمثال.

يرفع أيهم صوته قارئاً:

=الشاعرة (تماضر بنت عمرو الشريد) الملقبة بـ (الخنساء)..

–ســـنتعرف اليوم على الخنســـاء كشـــاعرة وأمّ

وأخت، قال أبي وتابع:

=كما قرأتم، فإنّ اسمها (تماضر) ونسبها يرجع إلى قبيلة (مضـــر) العربية. كانت امرأةً ذكية. تتمتّع بنسبٍ وجمال وأخلاقٍ عالية، ولشخصيتها المتفردة، المتصفة بالشجاعة والصدق والإخلاص والبلاغة، خطبها كثيرٌ من الفرســان، منهم الشــاعر (دريد بن الصّـــمّة)، لكنها لم تقبل بغير ابن عمها (رواحة بن عبد العزيز السّلّمي) الذي أنجبت منه أربعة فرسان استشهدوا في معركة (القادسية) التي قادها البطل (سعد بن أبي وقاص).

يصمت والدي قليلاً، وكأنه يسترجع صدى تلك الحرب التي انتهت بانتصـــار جيش (ســـعد) على الفرس.

تستغلّ أمي سكوت أبي وتقول:

=ما تزال الخنساء رمزاً للأخوة، فلقد رثت أخاها صخراً بأبيات يبكي معها الحجر:

يذكّرني طلوع الشمس صخراً

وأذكرهُ لكلّ غروب شمسِ

ولولا كثرةُ الباكين حولي

على إخوانهم لقتلتُ نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكنْ

أعزّي النفس عنه بالتأسّي

ومع آخر كلمة أنشدتها أمي، نسمع صوت حركةٍ غريبة تصدر من تمثال الخنساء.. بتعجب تقول أحلام:

-انظروا.. دمعٌ.. نعم دمعٌ يتساقط من عينيّ التمثال..

وبينما نحدّق لنتأكّد مما قالته أحلام، لا ندري كيف حرك التمثال يده، ومسح دموعه، ثم تكلّم معنا:

–يسعدني أنّ عصركم لم ينسني. أنا فخورة بكم مثلما أنتم فخورون بي. لن أدعكم تبحثون عن سيرتي في بطون الكتب، سأخفّف عنكم بعض الوقتِ والجهد، فهل تقبلون؟

باندهاشٍ أجبناها:

–وكيف لا نقبل..

–في فترة ما قبل الإسلام، أو ما تُسمّى بـ (الجاهلية)، فقدتُ أخي صخراً ومعاوية نتيجة عادات الثأر التي كانت منتشرةً في تلك الأيام. كنتُ أحبهما كثيراً، وكانا يحبّانني كثيراً، وبعد موتهما ساءتْ حالتي، حتى دعاني، يوماً، عمر بن الخطاب (رض)، وقال لي معاتباً:

–ألا تعلمين أنّ أخويك في النار؟.

قلتُ:

–ذاك أطول لحزني، كنت أبكي لهما من الثار،

وأنا اليوم أبكي لهما من النار.

شـــهق تمثال الخنســـاء بألمٍ، وامتلأت محاجره بالدموع.

مســـحت أمي عيني التمثال بمنديلها الورقيّ قائلة:

–عليك أن لا تحزني إلى هذه الدرجة.. وتذكّري أبناءك الأربعة الذين قاتلوا بمنتهى الشجاعة إلى أن ماتوا جميعاً بعدما أبلوا بلاء حسناً في ساح الحرب التي انتصر فيها المسلمون. أتمنى أن نسمع ما قلته لأولادك قبل ذهابهم إلى المعركة.

يستجمع تمثال الخنساء رباطة جأشه، فيصدح صـوت الخنســاء بأمومةٍ حريصــة على الإســلام ونصرته:

– يا بَنِيّ، إنكم أســـلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، فإذا ما أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين،

فأعدّوا إلى قتال عدوّكم مســـتبصـــرين، وبالله على أعدائه مستنصرين.

ازداد خفقان قلب التمثال، وتعالت نبرة صـــوته القادمة من تلك السنين:

– واســتشــهد أبنائي الأربعة. وحين بلغني خبر استشـهادهم، قلت بكل صـبر وحكمة الحمد لله الذي شرّفني باستشهادهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقرّ رحمته.

يقول تمثال الخنســـاء ذلك وهو يبســـط كفّيه للســماء، فأبســط أنا وأســرتي أكفّنا للســماء، ندعو ونحمد الله.

وحالما يخفض التمثال يديه، يسألنا:

– هل تعرفون شيئاً عن سوق (عكاظ)؟.

أخـاف أن يســـبقني أبي أو أمي في الإجـابـة، فأسرع قائلة:

– في ذاك الســوق كان يجتمع الشــعراء لإلقاء قصائدهم متنافسين.

بإعجاب يسألني التمثال:

– ما اسمك؟

بافتخار أجيب:

–اسمي آية.

–اســم جميل مثل إجابتك. من أين لك مثل هذه المعلومة؟ هل اكتســبتها من المدرســة، أم من مطالعاتك، أم من والديك؟

–من المدرسة.. كما أنني أعلم بأنك زرت سوق عكاظ وأنشــدت فيه (النابغة الذبياني) الشــاعر الذي كان يأتيه الشعراء لإلقاء قصائدهم أمامه كي يسمعوا رأيه في أشعارهم.

–ما دمتِ تعلمين يا آية، فماذا كان رأي الشاعر (النابغة) في قصائدي؟

–بعدما ســـمعكِ، أشـــار بيده إلى الشـــاعر (الأعشى) الملقب بـــ (أبي بصير)، ثم قال: لولا أنّ أبا بصير أنشدني آنفاً، لقلتُ إنكِ أشعر منه.

ضحك تمثال الخنساء، وانحنى وقبّلني، قائلاً:

–ما أروعك يا عزيزتي آية.

ثم صـــفّق لي التمثال، فصـــفق جميع أفراد عائلتي..

وبمودّةٍ قال والدي:

–هناك شـهادة أخرى من شـاعر آخر قالها بعد وفاتك، أظنّك لم تسمعي بها.

بلهفةٍ قال تمثال الخنساء:

–من فضـلك أخبرني باسـم الشـاعر وأسـمعني رأيه.

قال أبي:

–اسمه (جرير). ولقد سئل هذا الشاعر مرّةً: من

أشعر الناس؟ فقال: أنا.. لولا الخنساء.

دمعت من الفرح عينا التمثال وقال:

=أيعقل هذا؟

بانفعال قال أبي:

=وكيف لا يعقل.. كفاك تواضـــعاً يا إنســـانتنا العظيمة. فحتى الآن، والشـــعراء يذكرونك.. ثم، ألم يكن رسول الله (ص) معجباً بشعرك، وكان يستنشدك قائلاً:

(هيه يا خناس) ويومئ بيده مستزيداً...

تقشعرّ حجارة التمثال وقلبه.. تقشعرّ جلودنا..

وبعد هنيهةٍ،

يتسرّب صوت أمي:

=تروى الكتب، أنه عندما جاء (عديّ بن حاتم الطائي) مع أخته (ســـفّانة) إلى رســـول الله (ص) ليدخلا في دين الله، قال عديّ: يا رسول الله، إن فينا

أشــعرَ الناس، وأســخى الناس، وأفرس الناس، فقال (ص): ســمّهم. فأجاب عُديّ: أما أشــعر الناس فـ (امرؤ القيس بن حُجر)، وأما أسخى الناس، فـ (حاتم بن ســعد الطائي)، يقصــد عُديّ والده- وأما أفرس الناس فـ (عمرو بن معد يكرب).

فقال رسول الله (ص): ليس كما قلت يا عُديّ.. أمّا أشعر الناس فالخنساء بنت عمرو، وأمّا أسخى الناس فمحمد (يعني نفسه)، وأمّا أفرس الناس فعليّ بن أبي طالب.

بعدما صــمتت أمي، هدأ التمثال وفي عينيه تجمّدت دمعتان..

اختفتْ حركة التمثال، ولم يعد أمامنا ســوى منحوتةٍ حجرية ترمز للخنساء.

بحزنٍ سألت أبي:

-بابا، هل صمت التمثال إلى الأبد؟.

حضنني أبي بحنان وقال:

-لا تحزني يا آية. لن تصمت الخنساء ما دام هناك أناسٌ يذكرونها، ويحفظون أشعارها.. كفى اليوم، وهيا بنا لنعود.

نودع تمثال الخنساء، ونسير في ممرات الحديقة.

تركض نسرين وراء فراشة بيضاء، ثم تقف متذكرة:

-متى ستشتري لي البسكويت والشوكولاته، آية؟

تطمئنها أمي:

-حالما نخرج من الحديقة، سنذهب لشراء ما ترغبون بأكله.

نقطع القنطرة الضخمة، ونلتف كحلقةٍ حول أبي الذي يقول:

-بعد كل هذه الحياة المحزنة، والمشرقة بالصبر

والتضـــحية والشـــعر، غادرت الخنســـاء إلى البادية، حيث قضتْ بقية عمرها وهي تنشر تعاليم الإسـلام، إلى أن توفّاها الله عام (24هـــ) في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وعنها.

-الله ما أجمل حياة الخنســـــاء رغم ما فيها من آلام: قالت أختي أحلام وأمسـكت يد والدي، ومشـيا أمامنا في طرقات الحديقة..

بين مســـافة وأخرى، يظهر لنا تمثالٌ لإنســـانٍ عظيم، تقول أمي:

-لابدّ من أن نتعرّف عليهم في زيارات لاحقة.

في هذه اللحظة،

كنّا قد وصـلنا إلى الأعمدة الأسـطوانية الكبيرة، وســـنغادر حديقة العظماء من باب الخروج.. بعد قليل،

سيحلّ الغروب..

وســـينشـــد مع الأشـــجار والأزهار والأعشـــاب والتمثال:

يــذكّرنـي طلوع الشـــمسِ صـــخراً

وأذكـرهُ لـكـلّ غـروبِ شـــمـسِ

ما زال تمثال الخنساء منتصباً في الحديقة..

مازال الغروب، وكلّما زارَ الأرضَ، يُنشد...:

ولـولا كـثـرةُ الـبـاكـيـن حـولـي

علـى إخـوانـهم لقـتـلـتُ نـفســـي

♥♥♥

هل ترحل مع السنونو؟

(1)

سـنونوة مرتجفة تخرج الآن من صـفحات قصـة (السنونو وتمثال الأمير).

من فضلك، ساعدها وجفّف ريشها من المطر.

أحضـرت منشـفة، وجفّفت ريش السـنونوة، ثم.. أجلستها في حضنك تدفئها.

تبتسم السنونوة بصعوبة، وتخاطبك:

-أشكرك أيها الطفل اللطيف.

فتقول لها:

-أعرف أنك آتيةٌ الآن من مكانٍ بعيد انتصـــب

فيه تمثال أميرٍ لم يعرف كيف يعيش شعبه إلاّ بعدما مات، فطلب منك تمثاله أن تعطي عينيه وجواهر سيفه وكلّ ما رصّعوه به لعائلات فقيرة، لكن ما أذكره أنّ تلك السنونوة لم تستطع اللحاق بسربها، فماتت في ذاك الشتاء قرب قدميّ تمثال الأمير.. كم كنت نبيلةً ورائعة.. تهزّ السنونوة رأسها وجناحيها وتنفض ريشها قائلة:

–مثلما عادت روح الأمير إلى تمثاله، شعرت بعد كلّ هذه السنوات أنّ روحي عادت إليّ.. وكم أخشى أن أموت قبل أن أسرد لك ما جئت من أجله.

تمسح رأس السنونوة بيدك، وتسألها:

–هل تشعرين بالبرد؟ هل أحضر لك غطاء؟

– كلا، لا أريد غطاء، فأنا مرتاحة في حضنك وأشعر بدفء عارم.

– أرجوكِ لا تموتي: قلت لها بخوف وحزن

وحنان.

– وأيّ كائن حيٍّ قادر على أن لا يموت؟

تتأمّل سؤال الموت الذي سمعته منها، وبعد لحظةٍ تجيب:

– ربما يستطيع الكائن الحيّ أن يحيا بعد موته بعملٍ صالح وبذكرٍ جميل.

– أيهما تفضّل أن تكون: شهيداً، أم كاتباً؟.

– الشهيد يبقى خالداً، والكاتب كذلك تبقيه كلماته خالداً.. المقارنة صعبة، فكلاهما يحبّ وطنه، لكنني ولو كنت كاتباً لفضلّت الشهادة حين يكون وطني في خطر.

ترفرف السنونوة بجناحيها قليلاً وهي سعيدة بإجابتك، وتقول:

– غيّرت رأيي، لن أسرد لك الحكاية.

– لماذا؟: مبهوتاً تسألها.

– لأنني ســـآخذك معي حيث تنتظرنا أحداث القصة.

– هل أخبر أمي وأبي؟.

– أظنهما لن يسمحا لك بذلك.

– ربما يسمحان لي.

كان الليل يغمر مدينتك.. أصوات سيارات قليلة تعبر الشـــوارع.. معظم نوافذ البيوت مطفأة الإنارة.. والنسائم تحفّ بالأشجار، فلا يعرف الهواء النوم ولا القمر يحلم بأنْ ينام..

(2)

تصـــــل غرفـة نوم أمـك وأبيـك، تنقر على البـاب..تك.. تك.. لا يجيبـان. مـاذا أفعل؟: تهمس في نفســـك، وتعود إلى الســـنونوة التي تركتها في سريرك قائلاً بألم:

–إنهما نائمان.

-اكتب لهما ورقة.

تكتب جملة وحيدة (والديّ العزيزين، لا تقلقا، لقد ذهبت مع السنونوة)، تضع الورقة على الوسادة، وتغطّي جزءاً منها كي لا تطير أو تسقط أو.. وبعدما تدمدم وتنفخ عليك السنونوة، تقول لك:

-الآن، باستطاعتك أن تصبح أيّ كائن تريد، ولك التصرّف في هيئتك حسب احتياجات الموقف. هيا تحوّل. فقط انوِ على الكائن وتخيّله، لتصبح هو. كنت ذكياً جداً، لذلك نويت أن تكون سنونوة، وما أن تخيّلت ذلك، حتى أصبحتما سنونوتين تميز بينكما نقطة ريشٍ أبيض تتوسط جبينك.

وتحلقان بعيداً في هذا الفضاء الليلي الرائع.. كانت مدينتك تتلألأ كجوهرة مسحورة.

تحلقان بسرعة، وعندما تصلان إلى مكان خالٍ إلاّ من أصواتٍ غريبة، تقول لكَ السنونوة:

-اسمحْ لي بأنْ أعصب عينيك.

–من أين أتيتِ بهذه القطعة القماشـــية؟ ولماذا ستعصبين عينيّ؟

أخذت القطعة من غرفتك وسأعصد عينيك كلما احتاج الأمر، فهل توافق؟

–لكِ ذلك.

قلت بهدوء، واستدرت..

عصبت السنونوة عينيك وأمسكت بجناحك، ولم تشعر إلاّ وكأنك تهوي إلى بطن الأرض. شعورك كان صادقاً، فالسنونوة أخذتك إلى بلاد الجان.

وهناك تحت الأرض فكّت عينيك، فرأيت قصوراً ذهبيةً ذات قباب، ومن كل جهاتها تحيط بها المياه.

كان المشهد كجزيرة ذهبٍ متحركة..

جنياتٌ تســـبح في المياه.. جنياتٌ تجلس في المراكب..

جنياتٌ ترقص على الشواطئ وفي القصور..

جنيـاتٌ تغني وهي تحمـل كؤوســـاً وأبـاريق وشموعاً، ووروداً وطعاماً.

– أترى ذلك القصر الكبير؟: سألتك السنونوة.

كان القصـــر الكبير يتوســط القصـــور، وقبّته مرصّـــعةٌ، إضـــافةٌ للذهب، بمختلف أنواع الجواهر، كالزمّرد والعقيق والياقوت والماس واللؤلؤ.

– نعم أراه: أجبتها مدهوشـــاً بما تراه عيناك أول مرة.

– لماذا ترد عليّ ببطء؟ هل غرّتك المظاهر؟

– آسف، اعذريني.

–هناك، في قاعة القصـــر الكبرى، يوجد بابٌ ســـريّ بهيئـة بلاطـةٍ زرقـاء، ارفعهـا، وانزل الـدرج المؤدّي إلى ســـرادبٍ معتم، في نهايته ســـجنٌ، في السـجن امرأةٌ، حاول أن تخلّصـها، فإذا ما وصـلت، ارفعْ حجرة الحائط المواجه لقضبان الغرفة المسجونة

فيها، ودعها تصـــعد معك المركب، لنوصـــلها إلى بيتها في مدينتها.

– وما قصة هذه المرأة؟

–إنها امرأة فقيرة، قالت لحاكم مدينتها: إنك ظالم، فطلب من ملك الجان الأحمر والأزرق أنْ يعذّبها ويسـجنها كي لا ترفع صـوتها بعد ذلك بأية كلمة حق.

–وكيف ســـتعيدينها إلى مدينتها ما دامَ الأمر كذلك...؟..

–لقد ثار الشـــعب على الحاكم وقتلوه وصـــار حاكماً للمدينة الآن أحد أبنائها الذي لا يعرف أين أمه.

تنوي وتتخيل، فتتحول إلى جنيّة.

وقبل أن تسرع إلى المياه لتسبح، يأتيك صوت السنونوة:

-لا تنس أن ذلك يجب أن يتمّ خلال عشـــر دقائق.

ترمي نفسك في المياه، وتسبح، تصل الشاطئ، ولا جنيّةٌ من هؤلاء الجنيات تنتبه لوجودك. تدخل بوّابةً كبيرة.. تعبرها بأمان. تنعطف يميناً ثم يســـاراً وإذ بك تسمع صوت إحدى الجنيات:

-أشمّ رائحة أنسيّ هنا.

تردّ عليها:

-وأيّ إنسيّ يجرؤ على الوصول إلى هنا؟.

ثم تبتعد مســـرعاً، وتدخل القاعة الكبيرة. كانت فارغةً إلاّ من مائدةٍ عامرة فيها كل ما طاب ولذّ. ترفع البلاطة الزرقاء، تنزل درجةً ثم تغلق البلاطة، تقفز على الدرج المضـــاء بقناديل وقناديل، تركض إلى نهاية السرداب المزيّن بشمعداناتٍ مصنوعة من الذهب بشـــكل يشـــبه رأس ملك الجان الأحمر

والأزرق، تصل نهاية السرداب حيث غرفة السجينة وعلى بابها جنيّةٌ تحرسها، ولتتخلّص منها، تقول لها:

– بعد قليل سيبدأ الاحتفال. جئت لأقف مكانك قليلاً ريثما تشاركينهم بعض الوقت.

– آوه، ما أروعك، منذ زمن لم يتذكّرني أحد. هل أنتِ جادّة فيما تقولين؟: قالت لك الجنيّة الحارسة.

– نعم، فأنا أحبّك، وبعدما أنهيت التزاماتي، قلت آخذ مكانك، وأنت تذهبين للطعام والشراب والغناء والرقص.

تركض الجنيّة بفرحٍ، وصدى خطواتها يغيب، كأنها صعدت الدرج، وفتحت البلاطة الزرقاء، وأصبحت في القاعة الكبيرة.

حينما تشعر بالأمان، تنوي وتتخيل فراشةً،

تصـير فراشـةً قادرةً على العبور من بين القضـبان، ترفّ فوق رأس المرأة الواهنـة، المصـــفرّة، فتفرح بوجودك، وتتساءل:

– أيعقل أن يكون في هذا المكان فراشـــة؟ لابدّ وأنها إحدى الجنيّات جاءت لتعذّبني.

تنوي وتتخيل، فتظهر أمامه بهيئتك البشـــرية.. كادت تصرخ لو لم تقل لها:

– أرجوك مليكتي لا ترفعي صـوتك، فنبقى هنا سويّةً.

– من أنتَ؟

– لا وقت لدينا، بعدما أنقذك، ســأخبرك. وكلّ ما أرجوه منك أن تلزمي الصـــمت. تنوي وتتخيل، فتتحول إلى فأس يضـرب الحجرة أربع ضـربات من حوافها الأربعة. مكان الحجرة يتّسـع بصـعوبة لامرأةٍ ضـــعيفة. تنوي وتتخيل متحولاً إلى ريحٍ تدفع المرأة

إلى المركب الذي تنتظركما فيه السـنونوة. تنفخ على الحجرة، فتعود إلى مكـانهـا، ثم تنفخ على المركـب حتى يقطع المياه المحيطة بقصـــور الجان. وما إن تصــل إلى مياه بحرٍ من بحور الأرض، حتى تحوّل نفســك إلى حوتٍ يســبح حاملاً المركب. توصــلان المرأة إلى مدينتها بعدما أخبرتها السنونوة في الطريق عن مآل الأمور وأرشدتها إلى بيت ابنها الحاكم.

تقول المرأة وهي تقف على الشاطئ:

-أرجوكما اذهبا معي، وأقيما في القصر معنا..

-ليتنا نستطيع.. نتمنى لكِ كلّ الخير.

كـانـت دموع المرأة تغمر وجههـا، فهي لم تعـد تعرف أهذا حلمٌ أم حقيقية..

المرأة تركض إلى المدينة..

وأنتما تحلّقان فرحين لأنكما أنقذتما هذه الإنسانة المسكينة.

(3)

-إلى أين تريد الذهاب الآن؟: سألتك السنونوة.

ترفّ بجناحيك أكثر، وتقرّب منقارك من أذنها قائلاً:

-أريد التحليق في فضاء مدينة السلام.

وبغمضـــــة عينٍ، تصـــــلان إلى بغداد، مدينة السلام..

هنا.. لماذا الهواء ملوّثٌ بروائح البارود؟ لماذا الدّمار منتشرٌ في كل مكان؟ لا كهرباء، لا ماء، ولا غـذاء.. معظم الأبنيـة خرابٌ وأنقـاض... أطفـالٌ يبكون..

أطفالٌ مشرّدون..

وأطفـالٌ بين الأنقـاض يليحون بـأيـديهم لكمـا ويقولون متحسّرين:

-ليت هاتين السنونوتين تحملان سلامنا إلى كل

الأطفال.

تخفيان دموعكما، وتتجهان إلى فلسطين...

كانت الأراضي هناك، من كل أعماقها، تصرخ:

– لا أريد هذه البيوت المسبقة الصنع، حتى دود تربتي يرفضـــها ويتمنى لو يســـتطيع أن ينخر حجارتها. كان صـدري متخماً بجذور الحمضـيات، بعرائش الياسمين، بكروم، العنب.. وكان قلبي يضخّ المحبـة لجميع الـذين قـذفوهم مع بيوتهم. اســـمعوا حجـارة البيوت المحروقـة والمهدّمـة كيف تنـادي من كان يسكنها..إنها تناديهم شخصاً، شخصاً، إنها لا تنسى أسماءهم أبداً.

رعشــة صــوتها تغلغلت ريشــكما مثل أصــوات الأطفال الحاملين بأيديهم الحجارة..

كيف للحجارة أن تضاهي أسلحة العدو؟

تعرّجان إلى لبنان. كانت المسافات بغتةٌ تشتعل

بنيران القذائف، فتسقط أبنيةٌ ويموت كثيرٌ من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال.

تهربان من القصف وأنتما تصيحان وسط غبار الحرب والشظايا:

– يا أطفال فلسطين والعراق ولبنان، كل أطفال العرب والعالم يسلمون عليكم ويدعون لكم بالنصر والحرية.. فلتعشْ جراحكم ودماؤكم الأبيّة..

ترفّان بعيداً عن أصوات الانفجارات ومشاهد الرعب –لكنْ بعض قطراتٍ حارّة تسقط على أحد جناحيك.. لقد جرحت السنونوة..

– يا إلهي، اهبطي على هذه الهضبة لأضمّد جرحك.

كنتما نزلتما على هضبة قريبة من الجولان السورية

= أين قطعة القماش التي عصبت بها عينيّ؟

–هنا: تقول السنونوة وهي تكابر جرحها وآلامها.

تتناول قطعة القماش الملفوفة على رقبتها، وتتذكّر أنّ عليك تطهير الجرح أولاً.. تطير إلى أقرب نبع ماء، وتتحول إلى كنغر، تملأ جيبك بالماء، وترجع بقفزات طويلة وسريعة، تغسل جرح السنونوة، ثم تضمّده...

هي ترتاح... وأنت تتحول إلى سنونوة... وتعودان للتحليق.

(4)

–هل نسير في طريق مدينتي؟: سألت السنونوة الجريحة.

بصوتٍ لا يخلو من الأنين، تقول السنونوة:

–سآخذك في رحلة قصيرة إلى أثرٍ من آثار بلادك.. إختر إلى أين تريد الذهاب: إلى أهرامات مصر؟ أم إلى قلعة حلب؟ أم إلى بتراء الأردن؟ أم

إلى غار حراء؟ أم..

-كل ما ذكرته أحبّ مشـــاهدته، لكنّني أرغب كثيراً في زيارة الأهرامات.

مراكب عديدةٌ كانت تســـير في نهر النيل الأسطوريّ.

ما زال القمر يضيء مصر كساحرٍ قديم.

مازالت القاهرة تضـــجّ بالحركة، والاســـكندرية تتحدث مع البحر الأبيض المتوسط.

وما زالت الجيزة تجلس مثل امرأةٍ عجوز تحضن الأهرامات وأبا الهول.

تطيران فوق صحراء الأهرامات. تتعب السنونوة وتقول لك:

-هيا نسترح قليلاً على سنام هذا الجمل.

أنتما الآن سنونوتان جميلتان وغريبتان يحملهما الجمل المزيّن بزينةٍ تراثيّة، ويمشـــي في هذه

الصحراء..

كأنّ الأهرامات، هنا، لا تصمت عن سرد سيرة الفراعنة، والرياح والرمال الحارّة تنقل كلامها إلى أبي الهول الذي يهزّ بين فينةٍ وأخرى.

أسرار كثيرة مدفونةٌ في هذه الأهرامات، ومفاتيحها ما زالت في زمنٍ مضى، وفي عيني أبي الهول، وفي الحكايا التي لا تنطق بها الصحراء للمقيمين والزائرين. كان السائحون من عرب وأجانب يتصورون مع هذا التاريخ العريق. واحدٌ منهم رغب بصورة مع الجمل الذي تقفان على سنامه.

– هل نطير؟: تستفهم من السنونوة التي تهزّ رأسها كإشارة إلى عدم الطيران.

تأتي سائحةٌ أخرى لتستأجر الجمل، فتلكزك السنونوة بجناحها وتقول:

– هيا.. ألم تكتف بهذه الزيارة؟.

– أرجوك، دعينا هنا بضـــعة أيام.. أريد رؤية الرسوم والنقوش، المعابد، والمومياءات

– ماذا..؟ وأهلك؟ هيا لقد تأخرنا.. ألا تري كيف بدأت الشمس تلد شروقاً جديداً؟

كانت الشـــمس الحمراء المحاطة بهالةٍ برتقاليّةٍ تشـقّ طريقها عبر السـماء الكحليّة والزرقاء، وتزور آثار الجيزة.

بغتةً، تسأل السنونوة:

– هل أستطيع أن أتحول إلى شمس؟

– لماذا؟

– كي أشـــرق كلّ يوم على وطني كله، على الأرض كلها، فأظهر للناس الطيبين، وأختفي سنواتٍ عن النـاس الظـالمين حتى يثوبوا إلى رشـــدهم أو يموتوا.

تضحك السنونوة وتقول:

– لا تستطيع ذلك، فممنوع عليك أن تتحول إلى نجم أو قمرٍ أو شـــمس، فقط بإمكانك التحول إلى أشياء وكائنات الأرض.

تتحاوران، وتقطعان المسافات بسرعة.

لم تشـــعرا كيف عدتما إلى بيتك، عدتما قبل صباح ذلك اليوم بقليل..

(5)

تدخلان من النافذة التي خرجتما منها.

تجلس السنونوة على سريرك.

تنوي وتتخيّل أن تعود إلى هيئتك الإنسانية...

عدت إلى ذاك الطفل الجميل.. طويت الورقة التي كتبتها لوالديك، وضـــعتها على طاولتك، ثم تمدّدت على ســـريرك قرب الســـنونوة التي دمدمت ونفخت عليك ساحبةً منك طاقة التحوّل..

وعندما نمت، غطّتك السنونوة كما تغطّيك أمّك،

ورفرفت لتغيب تحت الكلمات.

–لن تموت هذه المرة السنونوة:

جاءك صوتٌ غامضٌ في الحلم.

يتكرر الصوت في حلمك، فترى نفسك تسأل:

–أحقاً؟ لكن كيف وكل نفسٍ ذائقة الموت؟

–لن تموت الســـنونوة لأنك والكثير من الأطفال معك، ستقرؤون قصة السنونوة بشوقٍ دائم.

■

هامش:

– مازال صوتٌ غير مفهوم يأتي من مكان بعيد، من جبلٍ، أو من مغارةٍ، أو من بئر.. ربما أســـمعه وحدي، لذلك سأترجم لكم ما يقول:

– أطفالي الأعزّاء، انتبهوا، فطيفي يرفّ تحت كلّ السطور.

– هل أخبركم أم أنكم حزرتم؟.

تقولون:

- عرفنا.. إنه طيف السنونوة.

- بالفعل إنه طيف السنونوة، فلا تمسكوا ريشها، بل اتبعوها إلى أول الحكاية.

البلبل والساحر

هناك،

في تلك الغابة السحرية،

كانت العصـــافير تزقزق، والضـــفادع تتواثب، والأشـجار المتنوعة تنتصـب بشـموخ، والنهر يمشـي مع مياهِ ليسقي الغابة، والبحيرة الواسعة تَتسلّى مع الإوزّ والبطّ والبجع..

في تلك الغابة السحرية،

كانت السناجبُ تتسلّق أشجار البلوط، والفراشات

ترفُّ، والنملُ يعمل مثل جيشٍ دؤوب، والنحلُ يئزُّ بين مختلفِ الأزهار.

حيواناتِ هذه الغابةِ كلها ونباتاتها كانت مُتصادِقةً ومُتحابّة.

وذات يوم،

جاء إلى هذه الغابة ساحرٌ كان قد ربط شابّاً بحبالٍ قوية إلى إحدى شجرات البلوط.

أخرجَ الساحر منديلاً وصحناً وضعَ فيه بعض النباتات الغريبة، ثم رشَّ فوقها موادَّ حمراء وزرقاء وصفراء، ثم أشعلَ ما وضعه في الصحن.

وحين هدأتِ النار، وضع الساحر المنديل فوق الصحن، غطى أجزاءه كلها وهو يدمدمُ بكلماتٍ غير مفهومة.

هيئة الشاب تدلّ على أنه أميرُ ما...

السناجب الآن خائفة..

والأشجار صامتة تنتظر ما سيحدث..

أنهى الساحر شعوذتَه، حمل الصحْنَ بِيدَيْهِ، وبضحكةٍ خبيثة قال للأمير:

-دعْنا نَرَ بعد الآن كيف سَتُنافُسني على الزواج من الأميرة؟

بسخريةٍ، قال الأمير:

-أتظنُّ أنَّ أميرتي ستقبل برُجلٍ مثلك ليكون زوجاً لها. أنت مجرّدُ ساحرٍ، حاقد، ولئيمٍ، وحاسد، وشرّير.

ردّ الساحرُ بكراهية:

-دْعنا نرَ ما يفيدك كرمكَ وشجاعتك وأخلاقك وأنت في هذا الموقف.

يتقدم الساحر أكثر، فيقول له الأمير:

-لا يجدر بك أن تغدر. فُكَّ وثاقي، ولنتبارزْ،

وحين تغلبني تكون الأميرةُ لك. قفزت السناجب لتقرض حبال الأمير، لكنّ الساحر كان أسرع.. رشَّ ما في وعائه على الشاب الذي صار بلبلاً أمسكهُ الساحر فوراً، وصرخ في وجهه:

–لن تعود إلى هيئتك إلاّ إذا استطعت أن تحرق شعراتي الثلاث المدفونات في أوديةٍ ثلاثة. لا أعتقد أنك ستعرف كيف تجدُ وادي الجماجم، ووادي العفاريت، ووادي الجحيم. لذلك، ستبقى بلبلاً يموت بعد ثلاثة أشهُرٍ.

ثم أطلق الساحر البلبل، وقهقه حتى ارتمى على الأرض، ثم نهض، وقف في صحنه، وضع المنديل على رأسه، ودوّر جسده والصحن، ثم اختفى.. ولم يبقَ مكانه سوى عمودِ دُخان.

حلّق البلبل بصعوبة، وقف على غصن شجرة البلّوط، ثم نزل إلى النهر، شرب منه قطراتٍ صغيرةً جداً، وارتفع قليلاً في الهواء ليحطَّ على ضفة البحيرة

التي ماجتْ بِبطّها وإوزّها وبجعها.

كانت دمعات البلبل تختلط مع مياهِ البحيرة.

أكبرُ البجعات تقترب من البلبل، تنفضُ ريشـــها من الماء، تهزُّ رأســـها، فتصـــطفُّ وراءها البجعات والإوزّاتُ والبطّـــاتُ كَفرقـــة (بـــاليـــه) عـــالميـــة، وما إن تســـتديرَ البجعةُ إلى صـــديقاتها، حتى يبدأن الرقص...

وقتٌ قصـــــير، وتجتمعُ الســـــناجب والأفاعي والضـــفادعُ والعصـــافير والفراشـــاتُ والنمل والنحل، تجتمع حولَ البلبل وترقص..

أشجار الغابة تُخاطب الأمير مُنْشِدةً:

-ارقصْ أيها البلبل، نحن سنساعدك.

يضحك البلبل، وببطءٍ يُحرك جناحَيْهِ، ثم بسرعةٍ يُحرّكُهما، ثم يرقص ويغني.. الغابـةُ بكلِّ ما فيها ترقص وتغني..

وما إنْ يتعب الجميعُ، حتى تشير أكبر البجعات إلى فرقتها، فتتوقّف عن الرقص والغناء، ومثلها تفعل أوراق الشجر وجذوره، والزهر، والعشب، ومياه النهر والبحيرة.

من هذه السَّكينة المحبَّبة، يأتي صوت أكبر البجعات لطيفاً:

-أنا ساحرةٌ بهيئة بجعة، ولا أستخدم سحرى إلاّ من أجل الخير، لذلك، فأنا أملك طاقةً تتغلّبُ على سحر هذا الساحر الشرير.. طبعاً يسعدنا أن تبقى بلبلاً صادحاً في غابتنا، لكننا نريدكَ أن تعود إلى مملكتك أميراً لتتزوج من أميرتك، وترجع بصحبتها لزيارتنا.

ثم رفعت أكبر البجعات صوتها سائلةً بقيّة أصدقائها من حيوانات وأشجارٍ ونباتات.

-أليسَ كذلك يا أحبّتي؟

بصوت مُنَغَّمٍ أجاب الجميع:

–نعم، هذا صـــحيح.. نحن نحبُّ البلبل، لكننا نحبُّهُ أكثر حين يرجع إلى هيئته الإنسانية.

بعد ذلك،

اقتلعتْ أكبرُ البجعات ريشةً من جناحها الأيمن، وريشــةً من جناحها الأيســر، وريشــةً من تاجها، ثم دعت البلبل للاقتراب منها قليلاً.

الآن، بين البلبل والبجعة مسافةٌ كخطوةِ بَطّة.

تعطي البجعة رِيشَاتها الثلاث للبلبل مُحذّرةً:

–إيــاك أن تفقــد أثنــاء الطيران إحــدى هــذه الريشـــات، لأنّ فيهنّ نجاتك. اتبعْ هذا الســـنجاب، (وأشـــارتْ بجناحها الناصـــع البياض إلى ســـنجابٍ صـــغيرٍ، خفيف الحركة)، ســـيوصـــلك إلى وادي الجماجم، ستدخله وتُشعل فيه ريشــةً، ستجد هناك من يســـاعدك، ويهديك إلى مكان شـــعرة الســـاحر،

احرقْها بـالريشـــــة. عليك أن تفعل ذلك في وادي العفاريت ووادي الجحيم.

سأل البلبلُ:

–والسنجابُ، ما مصيرهُ؟ هل سيبقى معي؟

أجابت البجعة:

–لا، الســـنجاب ســـيوصـــلكَ فقط إلى وادي الجماجم، ويعود إلى غابتنا.

رفرفَ البلبل بجناحيه فوق كلِّ الغابة منشـــداً وكأنّه يودّعها، ثم حلّق تابعاً السنجاب الرشيق.

السنجابُ يقفز بسرعة.

والبلبل يطير فوقه...

قطع الاثنان الغابةَ وأراضٍ كثيرةً موحشـــة، ولم يتوقّفِ الســنجاب الظريف إلاّ على هضــبةٍ مرتفعة مليئةٍ بأشــجار الجوز والســنديان، ولاهثاً، قال للبلبل

الذي حطَّ قرْبَهُ:

–هناك وادي الجماجم. لا تنسَ ما أوصـــتْك به البجعة.

دمعـتْ عينـا البلبـل وعينـا الســـنجـاب وهمـا يتودّعان.

عاد السنجاب من حيث أتى...

وحلّق البلبل وراء الهضبة..

وصل إلى وادٍ مليء بجماجم بشرية وحيوانية.

كان المشهد مرعباً ويحتاج إلى بلبل قويّ القلب.

وما إن أشــعلَ البلبلُ الريشــة الســحرية الأولى، حتى طارتْ، وحطّتْ على إحدى الجماجم، حملتْها، وعادتْ إلى البلبل. حدّق البلبل في الجمجمة، فرأى شعرة الساحر في محجرِ الجمجمة الأيسر، أخرجها بمنقاره، وحرقها..

احترقت الشعرة الأولى، ففقد الساحرُ الجالس في قصر الأميرة ساقيه.

تنطفئ الريشة. وتقفز الجمجمة أمام البلبل قائلة:

–اتبعني..

بدهشـــــة وبفرحٍ غامر، يتبع البلبل الجمجمةَ.. ويقطعان مسافاتٍ من الأحراج.. يصلان إلى منطقة صحراوية..

وهنا، تتوقف الجمجمةُ، تفتح فَكَّيْها وتقول:

–وراء تلك الصخرة يقع وادي العفاريت. سأترككَ وأعود إلى وادي الجماجم.

يودع البلبل الجمجمة العائدة بسرعةٍ إلى واديها. ثم يحلّق باتجاه وادي العفاريت. من الوادي.

كانت تصـدرُ أصـواتُ أشـباحٍ كثيرة، بعضـها يصرخ، بعضها يغني، بعضها يولول، بعضها يبكي، بعضها يضحك، وبعضها يعزف..

يرتعش ريش البلبل من أصـــوات وتحرُّكـاتِ الأشباح، ويتذكّرُ أنّ عليه إشعال الريشة الثانية.

يُخرج البلبل الريشـة ويشـعلها، فتطير، وتنزلُ في الوادي.

وعندما تصبح الأشباح واضحةً، يقول زعيمها:

–هيا يا عفاريتي لنهربْ قبل أن تحرقنا الريشـــة المسحورة..

يهبط البلبل وقبل أن يصــل إلى الريشــة الواقفة على صــندوقٍ صــغير، يهرب الجميع، يفتح البلبل الصندوقَ، ويُخرج منه الشعرة الثانية.. يحرقها، فيفقدُ الســاحر الممدّدُ في قصــر الأميرة جذعه الفوقيَّ ولا يبقى منه غير رأسه.

عفريت صغير كان يتلصّصُ.. رآه البلبل، فطار إليه... ركض العفريت هارباً. فصاح عليه البلبل:

–لا تخفْ، لن أؤذيكَ.. فقط، أريدك أن تدلَّني

إلى وادي الجحيم.

بخوف شديد، يرافق العفريت الصغير البلبل إلى وادٍ، نباتاته تصدر أشعةً، وأشجار بعضها يحرقُ بعضاً...

هنا، يتوقف العفريتُ قائلاً بصوتٍ مُرتجف:

-هذا هو وادي الجحيم.. إذا اقتربت أكثر فسأحترق.. أرجوك أن تعذرني.

بمودّةٍ يقول البلبل:

-أظنُّنَا أصبحنا صديقين.. أشكر لك حُسن صنيعك..

بفرحٍ يقول العفريت الصغير:

-إلى اللقاء إذن..

ثم يركض بكلِّ قواهُ راجعاً إلى وادي العفاريت.

ينظر البلبل إلى الأشجار المشتعلة، إلى اللهب

وهو يتراقص كجحيمٍ حقيقيّ في هذا الوادي.

بتفاؤلٍ، يُشعل البلبل الريشة الثالثة، فتنطفئ كلُّ نيران الوادي.. ويخمد جحيمه.. تحلّق ريشة البجعة السحريّة إلى صخرةٍ سوداء، تزحزحها، فتظهر الشعرة الثالثة.. وما إن يحرق البلبل شعرةَ الساحر الأخيرة، حتى يتبخّر رأس الساحر من قصر الأميرة فيموت...

وما إن يموت الساحر، حتى يعود البلبل إلى أمير..

ريشة البجعة المنطفئة تحمل الأمير،.. تحملهُ مثل عصا الساحرة التي نعرفها من خلال الحكايات، وتطير به.. تقطع مسافاتٍ بعيدةً.. وتُوصل الأمير إلى قصر أميرته بسرورٍ يستقبل الملك والملكة وابنتُهما الأمير الشجاع الذي يدعوهم للذهاب معه إلى مملكته حيث ينتظره والدهُ.

وفي الطريق،

يتحدّث الأمير عن كل ما صـــادفَهُ.. فتفرح الأميرة بعريسها الفارس.

يصل الموكبُ الملكيُّ إلى قصر الأمير.

كان القصـــر جميلاً ومُبْهِراً، تحيط به حديقةٌ رائعة، في وسـطها بحيرةٌ، على سـطح البحيرة، وردٌ ملوّنٌ وأوراق شجر..

يدخل الأمير محيّياً والديه اللذين ينهضـــان لاستقبال الأميرة ووالديها.

كان لقاءً حاراً ومبهجاً..

ترك الأمير الملكين والملكتين وعروسه في قاعة الاســتقبال، وذهب للاســتحمام، وبعدما انتهى من ذلك، ارتدى ثيابه التي اشـتاق إليها، واسـتأذن الأهل باصطحاب الأميرة إلى حديقة القصر.

عبر الاثنان رواق القصر إلى البوابة..

نزلا الدرج المرمريَّ.. وقفا بين أشـــجار الحديقة ينظران إلى السماء..

ثمّ، مَشَيا إلى البحيرة..

حين رأى الأمير البحيرة،

ترك ذراعَ عروسه، وصاح ببهجةٍ:

–يا إلهي كيف حضرتم؟ آه، ما أروعكم.

على سطح البحيرة،

كـان يرقص البطُّ والإوزُّ والبجعُ بقيـادة بجعتهم الكبيرة.

على حوافي البحيرة،

كانت تصطفُّ الأشباح وفي يد كلِّ واحدٍ منها باقة ورد.

وفي وسط البحيرة،

كانت تتلألأ شـــمعةٌ مشـــتعلة داخل جمجمةٍ

ترقص..

لم تخف الأميرة من ذلك، فأميرها حدثّها عن أصدقائه المخلصين.

بخطواتٍ رشـــيقة تقدّمتِ الأميرة مُحيّيةُ الجميع الذين ردّوا عليها بتحيّةٍ سريعة، وبكلماتٍ جميلة:

-مباركٌ أيها الأميران. رغِبْنَا بتهنئتكُما قبل يومٍ من موعد الزفاف، فهل تقبلان؟.

بسرعةٍ ردّتِ الأميرةُ والأمير:

-ما أسْعدنا بذلك...

ثم بدأ الجميعُ يرقص ويغني...

حتى اليوم،

ما زالتِ الغاباتُ ترقص وتُغنّي مع البلابل متناقلةً هذه القصة...

سؤال البرتقالة

تروي إحدى الحكايات:

أنّ علاء الدين ضيّع مصباحه في أثناء تجواله بين المدن والبلاد..

من لحظتِها،

قرر علاء الدين أنْ لا يعود إلى قصّـــته (علاء الدين والمصباح السحري).

من لحظتِها أيضاً،

لم يعدُ المصباحُ المفقودُ مسحوراً بسبب غياب

صاحبه..

وبقي المارِدُ مأســوراً في المصــباح ينتظر من يخلّصــهُ من ســجنه ليعيش حياته العادية.. وفي يومٍ من الأيام،

قررت أن ترتّب غرفتك، لتأخذ شكلاً آخر. نقلتَ طاولتك وكرسيَّكَ إلى الزاوية.

ووضــعت صــندوق ألعاب قرب المكتبة. اخترتَ دُبّاً أبيضَ وأجلسته على السرير.

ثم بـدأت تعيـد النظر في ترتيـب الكتـب. كـان أبوك قد أهداك قطعةً برونزية صـغيرةً بهيئة (المسـجد الأقصـــى). تمســـح القطعة بمنديلٍ نظيف، وتقول مُتحسرّاً:

–متى ســتتحرر فلســطين لنزورها ونُصــلّي في المسـجد الأقصـى؟... يا الله، لقد مضـى وقت طويل على احتلال فلسـطين، منذ عام (1948م) المشـهور

بعام النكبة، ونحن نحلم برؤية فلسطين حُرّةً، أبيّة.

تمســـح دمعاتك الطافرة من عينيك، تبعد لعبة (السنفور) الصغير من مكانها.

تنفض الغبار عن الكُتب، وإذ بك تلمح مصباحاً عتيقاً وجدته ذات يومٍ في حديقة بنايتكُم. وقتها، كنت عائداً من المدرسـة، فرأيتَ شيئاً يلمع، حملتهُ، وفرحت به.. وقلت لأبويك:

-انْظُرا... لقد وجدتُ هذا المصــباح الأثريَّ في حديقة المبنى..

قالت أمُّكَ:

-أرِني.. فعلاً إنهُ جميل. سأضعه في الصالة قرب ذاك الصحن الصيني..

فوراً قلتَ لأمك:

-أتمنى أن تتركيه لي، لأضعهُ في مكتبتي..

وكان لكَ ذلك.

وها أنتَ تخرج المصـــباح من رفِّ المكتبة.. تجدهُ شاحباً، فتمسحه.. بسرعةٍ تفركهُ كي يسترجع لمعته وبريقه.

وبغتةً،

تسمع صوت أنين، ثم صوت حركة، ثم يخرج دخانٌ ضبابيٌ ويقف أمامك..

ماردُ المصـــباح يقف وبيدهِ برتقالة، وبصـــوتٍ جميل يقول لك:

-شُـــبيّكَ لُبيَّك، خادمُ مصـــباح علاء الدين بين يديك.

فتقول له مستغرباً:

-أحقّاً أنت هو، أم أنك لعبةٌ تمازِحُني.

المارد الذي لم يكن ضخماً، أجابك:

-حقّاً، أنا هو.. أنا ماردُ المصـــباح أيها الطفل الذي يحب وطنَهُ العربي.

بفرحٍ شديد تسأله:

-هل لي أن أطلب شيئاً؟

-يسعدني أن أنفّذَ كلماتك، لكنني لا أستطيع الآن.

-لماذا لا تستطيع؟

-لأنَّ وجودي فقدَ مفعوله السحريَّ منذ ضيّعني علاء الدين..

-إذن، لماذا تقول: شبَّيْكَ لبَّيْك؟

-اعتدتُ على أن أقول ذلك حين أخرجُ من المصباح، وها أنا خرجت الآن للمرّة الأخيرة في حياتي، فقط من أجل أن أعطيك هذه الهدية.. فأنت من أنقذني، وقد عاهدتُ نفسي على أنْ أعطي هذه البرتقالةَ لمنْ سيفكُّ أسري ويُحرّرني من المصباح الذي لن أعودَ إليه بعدَ الآن أبداً..

ثم، وضع المارد البرتقالة على الطاولة،

واختفى...

تدلك المصباح بسرعةٍ علَّ المارد يعود للظهور، لكنّهُ لا يفعل... كان صادقاً في ما يقول.

تُرجع المصــباح إلى مكانه في المكتبة. وتجلس على كرسيّكَ متفحّصاً البرتقالة.

تمدّ يدكَ إلى البرتقالة اللامعة معتقداً أنها من ذهب.. تضـــعُها بين كفَّيْك، فتدلكها قليلاً، فتتحوّل إلى فتاةٍ فلسطينية، تلبس عباءةً، وتضع منديلاً على رأسها، تسألك:

-هل خفتْ مني؟

-خفتُ قليلاً.. ليس منك، بل، من حضـــورك المفاجئ.

-هل تستضيفُني مُدّةً قصيرة؟

-بالتأكيد، تفضّـلي واجلسـي على هذا الكرسـي، وأنا سأحضر كرسيّاً آخر من الصّالة.

-أين أسرتك؟

-لا أحد في البيت غيري. فأمّي وأبي ذهبا لزيارة عمّتي.

تسألك الفتاة:

-هل لديك وقتٌ لنتحاور؟

بابتسامةٍ عذبة تُجيبها:

-نعم، فأنا مشتاقٌ لمعرفةِ كلِّ شيء عن حياتك.

تتنهّدُ الفتاة وتقول:

-أنا ابنةُ شـجرةٍ وفيّة بقي جذرها في فلسـطين. رعتني والدتي شـجرةُ البرتقال رعايةً كريمة، سـقتني من نسغها الذي شرب من دماء الشهداء. وتساعدت مع أوراقها في عمليّة التركيب الضـوئيّ، فكبرتُ إلى أن أصبحتُ هذه البرتقالة.

تشـهق الفتاةُ بألمٍ وكأنّها تبتلع دموعاً وحسـراتٍ كثيرةً، ثم تتابع:

–لقد طردني الصهاينة من أرضي مع كثيرٍ من الفلسطينيين. عبرتُ لبنان إلى سوريا حيث وجدني مارد المصباح، وأخذني إلى علاء الدين الذي قال له أدخلها معك إلى المصباح.. منذُ زمنٍ وأنا أقيم في هذا المصباح. ولم أكن أسمع غير أنينِ المارد، وهو يقول: سأُعطي هذه البرتقالة هديةً لِمَنْ سيُحرّرني..

–إذنْ، أنت هديّتي الغالية.. وستقيمين معي، ومع أسرتي.. هل تعجبك مدينتي؟ بصوت مجروح تقول الفتاة:

–كنت أتمنى أن تكون فلسطين مستقلّةً، لتكون (القدس) أو (حيفا) أو (يافا) شبيهةً بهذه المدينة الخلاَّبة.

بترحيبٍ كبير، تقول لها:

–لكِ أن تعتبريها وطنَكِ، ريثما ننجز حلمنا وتعود فلسطين.

تسمعها تُنشد:

بلادُ العربِ أوطـاني من الشـــامِ لبَغدانِ

فتُنشدُ معها:

ومن نَجْدٍ إلى يَمَنٍ إلـى مصـــرَ فتطْوانِ

وعندما تصمتان، تقول لكَ:

-أنا أعتبرُ الوطن العربي كله وطني، لكنْ، ألا تشعرُ بأنَّ سماء وطنك، دائماً، هي الأجمل؟

يُحرجك الســؤال، فتنهض من كرســيّكَ، وتخطو باتّجاه نافذتك، تفتحها، وترفع بصــرك نحو الســماء.. الشـــمسُ، رغم الحرارة، تبدو رائعةً.. و (الكورنيش) لا يعرف الاســـترخاء ولا التعب، ومياههُ المتحركة مع النسمات تظهر مثل لوحةٍ عظيمة لن يكتشف أسرارها أكبر الرّسامين في العالم.

تستنشق نَفساً عميقاً، وتعود إلى الفتاة.

لكنك لا تجدُ أيَّ أثرٍ للفتاة.. تبحث في كلَّ

غُرفِ بيتكَ، في المطبخ، على الشرفة.. تركض إلى المصباح. وتدلكه، لكنّهُ... لا يُجيب..

تغلق زجاج مكتبتك، وزجاج النافذة، وتجلس على أحد الكرسيَّيْن. تشردُ في الكرسي الفارغ الذي كانت تجلس عليه فتاةُ البرتقالة، وتتساءل:

-هل كنتُ أحلم؟...

وبينما أنتَ شاردٌ تنُقّلُ بصرك من الكتب إلى المسجد الأقصى البرونزيّ إلى المصباح، يأتيك صوتٌ من ذاكرتك، صوتُ برتقالةٍ حزينة:

ألا تشعر بأنّ سماءَ وطنك

دائماً،

هي الأجمل...؟...

الفصول المجنونة

في الأزمنة الغابرة،

حيث القُرى تتناثر كَعِقدِ لؤلؤ مفروط...

كانت الفصـــولُ تمرُّ على البراري والســـهولِ والجبال..

كانت الحقولُ تعلمُ متى ســيحلُّ عليها الصــيف لتنحصدَ سنابلها الشقراء، ومتى سيُقيم فيها الخريف لتسقط بعض الأشجار أوراقها، ومتى سيعبرها الشتاء لتفتح ذراعيها إلى أمطاره وثلوجه، ومتى ســـترقص

هـذه الحقول مع الربيع.. وحـدث في زمنٍ مـا، أن تصـــارعتِ الفصـــول. كان خِلافُها يدور حول تبديل الأشـهر.. الصـيف يريد أن يأتي في أشـهر الشـتاء، والشـــتاءُ يريد أشـــهر الربيع، والخريفُ يرغب في استبدال أشهرهِ بأشهُرِ الصيف...

واحتدَّ الصراع بين الفصول..

وعندما لم يتوصّـــلوا إلى اتّفاق، هرع كلٌّ منهم، في اللحظة نفســـها، إلى الأرض.. فوجئتِ الحقولُ بهذا الجنون..

ونبـاتـاتُها وقعتْ في حيرةٍ هـائلـة..، والحيوانـاتُ أيضاً..

وحدها بعضُ الأشـــجار لم تكترثْ لهذا التغيير، كالصّـــبّار والزّيتون، والدّفلى والصـــنوبر والبلّوط والنّخيل والسَّرو..

غضـبتِ الريحُ من هذا الوضـعِ الجديد، فقرّرتْ أن تطرد الفصول كلها.

جلستِ النسائم والعواصف والأعاصير والزوابع تحت شجرة مشمشٍ في حقل فلاحٍ عجوز، تُخطّط لطرد الفصول إلى مقبرةٍ أو إلى وادٍ، أو حتى خارج الأرض.. ولحُسنِ الحظ، كان الفلاح العجوز موجوداً لحظتها، وكان قد وِرث طريقة التّفاهم مع الريح من والدهِ...

كانت الرياح تتهامس وتُخطّط بصوتٍ منخفض حينما اقترب منها العجوزُ مُحيّياً:

-السلام عليكِ يا رياحنا المباركة.

-وعليكَ السلام أيُّها الرّجل الوقور: ردّتِ الرياح باستغراب، وهبّتْ واقفة.

-أتمنّى أنْ لا تنفذّوا ما شرعتُم في التفكير به.

-ولماذا؟ سألتِ الرياحُ بغضبٍ حادّ..

-لأنكم إذا قتلتم الفصول، فسنموتُ جميعاً.. ألا تجدون الإقناع أفضل وسيلة؟:

قال العجوز بحكمة السنين التي عاشها وتعلّم منها ما يصلحُ لكلِّ موقفٍ من مواقف الحياة.

-أنا لا أوافقكَ: أجابت العواصف والأعاصير والزوابع.

-أمّا أنا، فأرى أن حلَّ الفلاّح العجوز أكثر نفعاً: قالت النسائم بثقة...

-هل أقنَعكِ مباشرةً؟: قالتِ العواصف والأعاصير والزوابع.

-لا تكونوا شرّيرين. فكلامه مناسب، لكنْ، تساءلوا، كيف سنُقنِعُ الفصول؟

قالت النسائم وعادت إلى الجلوس تحت شجرة المشمش.

سؤالُ النسائم، جعل بقيّة الريح تجلس..

-أتسمحون لي بمشاركتكم الجلسة؟: سأل الرجل.

بصوتٍ واحد، قالوا:

-بكلّ تأكيد.. يُســـعِدُنا وجودك معنا، فأنت البشــريُّ الوحيد الذي يفهم لغتنا. ســيطر الصــمت بُرهةً...

كانت النســائم تلتهم حبَّةَ مشــمش، والعواصــف تضــع في فمها غصــناً يابســاً أخذته من الأرض، والزوابع، تحدّق في التربة حالمةً برملِ الصــحارى.. والأعاصيرُ، تنظر إلى العجوز بتفحّصٍ.. ثم تسأله:

-ألديك أولاد؟

-منحني اللهُ ثلاثة شُبّان.

-وماذا يعملون؟: استفهمتِ الزوابع.

-يساعدونني في رعاية الحقل.

-هل هم أذكياء مثلك؟: بلهجة لطيفة ســـألتهُ النسائم.

-أعتقد ذلك..

–إذنْ، دعهم يساعدونا في عودة الفصول إلى أشهرها الطبيعيّة.

–لكمُ ما تطلبون..

اقترب الصباحُ ولم يعدِ العجوز، فقلق أبناؤُهُ عليه.. خرجوا من البيت متّجهين إلى الحقل..

لم تكن الطريق بين البيت والحقل بعيدةً.. دقائق أخرى، ويصل الشُّبَّانُ لاهثين.. فوجئ الأولاد الثلاثة بأبيهم جالساً تحت شجرة المشمش وهو يتحدّث مع نفسه.

ركض الشابُّ الكبير وقال:

–سلامتكَ يا أبي. لماذا تتحدّثُ مع نفْسِكَ؟

ثم، فوراً، قال الشابُّ الأوسط:

–أقلقْتَنا عليكَ جداً. هل أنتَ مزعوج من واحدٍ منّا؟

سأل بتردُّدٍ الشابُّ الأصغر:

–بماذا تفكّرُ يا أبَتِ؟ هل أستطيع مساعدتَكَ؟ هل أنتَ متعبٌ فأحملك إلى البيت؟.

ابتسمَ العجوزُ، وقال بهدوء لأولاده:

–اجلسوا..

كانت الرياح تُراقبُ ما يجري بين الرجل وأبنائه الثلاثة مثلما تُراقب الفصول المجنونة وما تفعله، نتيجة أنانيّتها، بالأرض.. فالثلجُ يتساقط مع انتشارِ شمسٍ صيفيّة حارقة، والبراعمُ ستتحوّل إلى أزهارٍ وثمارٍ لولا وجود الخريف الذي يُيَبّسها ويُسقِطُها بعدَما تصبح صفراءَ..

كلُّ ذلك كان يحدثُ في نفس الوقت.

ولم يقطع الرياح عن مراقبتها للفصول وغضبها منها غيرُ صوتِ الأب وهو يقول:

–في زمنٍ مضى كان يحكم هذه القرية إقطاعيٌّ ظالم لا تعرف الرحمةُ إلى قلبه سبيلا.. كان يضرب

الفلاحين، ويطرد بعضـهم، ويسـجن البعض الآخر. وفي يومٍ من الأيام، جمع أهل القريـة التي يملكُها، وأمرهم:

–يجـب أن لا يبقى في هـذه القريـة من بلغَ الخمسين سنة فما فوق.

نظر أهل القرية بعضـــهم إلى وجوه بعضـــهم الآخر، كان القهرُ والصمتُ والظلمُ يمشي في عروقِ طفلهم وشابّهم وكبيرهم ونسائهم وشابّاتهم.

قال رجلٌ عجوز يتوّكأ على عصا:

–أتطردنا؟ إلى أين ســـنذهب؟ هل نذهب إلى الغابات المليئة بالوحوش، أم إلى الصحارى؟

بصوتٍ محروق، قالت إحدى النسوة العجائز:

–إنكَ قاسٍ، وبلا رحمة، إنكَ تدفُعنا إلى هلاكٍ مُحقَّق.

من بين الجمْعِ جاء صوت عجوزٍ آخر:

–كيف تطلب منّا أن نترك الأرض التي تربَّيْنا فيها، ثم كبرنا ونحن نزرعها ونعتني بها عشـــبةً، عشـبة، حبّةَ تراب، وحبّةَ تراب، قشّـةً، قشـة، وجذراً جذراً، وجذعاً، جذعاً.. إنها أُمُّنا أو أحد أبنائنا.. كيف تأمرنا بالابتعاد عن أسرتنا والأرض التي أفنينا فيها عمرنا وأنتَ تأكلُ خيراتها، وتظلمُها وتظلمُنا.

قال عجوزٌ آخر:

–لن نغادر، ولن ننفّذ أمرك هذا، ولن...

وقبل أن يُكمل العجوز الأخير كلامه، أشـــار الإقطاعيُّ إلى حرسه، فالتفّوا حول أهلِ القرية كسياجٍ شـائك.. ثم أشـار الإقطاعيُّ ثانيةً، فاقتربَ الحرسُ من كلِّ الكبار في السن، وقادوهم إلى السجن.

وقبل أنْ يلحقَ الإقطاعيُّ بِحَرســـهِ، قال لأهلِ القرية مُقهقهاً:

–كلُّهم ســـيُطردون غداً. ومَنْ ســـأجد في بيته عجوزاً، سأطردُ العائلة كلها معه.

أجهشَ الجميع بكـاءً.. الأطفـال يبكون آبـاءهم وأمهـاتهم، أجـدادهم وجـداتهم، وكـذلـك الشـــبّـان والشـابّات. بعضُـهم ركض وراء الإقطاعيّ يَسْترحمهُ. بعضهم بدأ يدعو الله...

كل ذلك كان بلا جدوى.

عاد أهلُ القرية إلى بيوتهم وكأنّهم يمشـــون في جنازةٍ جماعية.

لم ينَم أهل القريـة في تلـك الليلـة. كـان القمر يُرسـلُ أشـعّةً شـاحبة، وكانت الأرض تبكي بصـمتٍ رهيب..

كبار السـن كلهم سـيُطْردون غداً، ما عدا عجوز واحد ظَلَّ في بيته لأنه مشـلولُ القدمين. عندما دخل ابنـهُ الوحيـد عليـه، ركض إليـه مقبّلاً قدمَيْـهِ ويـديـه ووجهه. اقشـــعرَّ جســـد العجوز وقبّل وجنتي ابنهِ المبلّلتين بالدموع، ثم استفسر:

–ما لكَ يا بُنيّ؟ ماذا يريد الإقطاعيُّ؟ ولماذا كُلُّ

هذا النشيج في القرية؟

-لا شيءَ يا أبتِ، لا شيء..

-أعرف أنك لا تُخبِّئُ عني شـــيئاً، كما أعرف أنني ربّيتُك على الصدق.

مســـح الشـــاب دموعه وجلس قرب فراش أبيه، تنهّدَ بعمقٍ، ثم قال:

-قبضَ الإقطاعيُّ على الكبار في الســـن لأنهم لا يستطيعون العملَ في أراضيه، وغداً سيطردهم.

دمعتْ عينا الأب، وحدّق في ابنهِ وكأنّه يسـأله: وماذا أيضاً؟

كان الشـاب يفهمُ ما يريدُ والدهُ دون أن يُفصـح عن ذلك.

وبجوارح تبكي، وبصوت يبكي، أضاف الشاب:

-هدّدَ بِطردِ العائلة كلِّها فيما إذا تبيّن أن لديها عجوزاً.

بيأسٍ، وبمحبّةٍ، قال الأب:

-خذني الآن إليه.

أغلق الشابُّ فمَ أبيه بيده المرتجفة، وصرخ:

-ماذا تقول؟ لا أريد إلاّ أن يطردني قبْلكَ.

ابتسمَ الأب بطمأنينةٍ، وحضنَ رأسَ ابنه قائلاً:

-اخفض صـــوتك، ربّما يكون أحد جواســـيس الإقطاعيّ قريباً من دارنا.

-سأُخفيكَ في القبو الذي نستخدمه للمؤونة، فهو مكانٌ آمن، ولن يخطرَ في بالِ أحدٍ من أهل القرية، أو من الجواسيس.

وبسرعةِ البرْق، أعدَّ الشاب مكاناً لوالده في تلك الغرفة وجهّزَها بكلِّ ما يلزمه. وجاء الصباحُ أسْود..

في ذلك الصـــباح طُرِدَ العجائز كلهم، فحزن الناس حزناً خالداً..

لكنَّ الإقطاعيَّ لم يطمئنّ إلى خُلوِّ القريـة من

كبار السن.

فَدَبّر حيلةً ماكرة. أرسل رجالاً ليقرعوا الطبول مُنادين على الشبّان والشابّات لاجتماعٍ طارئ.

حضر الجميع مسرعين إلى ساحة القرية حيث ينتظرهم الإقطاعيُّ الذي فتح فمه الواسع، آمِراً:

-كلُّكم تعرفون أرضي الغربيَّة. غداً، مع شروق الشمس، أريدكم أن تذهبوا إلى هناك لتحصدوها.

دُهِش الجميع من كلام الإقطاعيّ. تُرى، هل جُنَّ، أم أنه يقصد ما يقول؟

رجع الشبّانُ والفتياتُ إلى بيوتهم مُتهامسين حول طلب الإقطاعيّ الغريب.. ماذا وراء طلبه؟ وما السرُّ فيه؟ وكيف سيحصدون أرضاً صحراويّةً لا تنْبتُ فيها إلاّ بعض الشوكيات؟

أغلبهم نام بعد منتصف الليل وهو حائر.

تُرى، أية مؤامرة أو مكيدة تنتظرهم مع شروق

الشمس؟

وصـــل الشـــابُّ الذي يُخفي والده إلى المنزل، وفورَ وصـوله، ركض إلى غرفةِ أبيه، قبّلهُ وعلامات غير مفهومة تعتلي وجهه.

–ما بكَ يا بُنيّ؟

وأخبرَ الشــابُّ والده بذلك الطلب. وما إن انتهى الابنُ من الحديث، حتى وشــوشـــهُ العجوز بكل ما عليـه أن يفعلـه، واختتم نصـــــائحـه وتعليمـاتـه بهذه الكلمات:

–بعد ذلك سيساعدك فصلُ الصيف.

ما زال الرجلُ الذي يفهم لغة الريح يسرد على أبنائه هذه القصة.. وحينما وصل إلى كلمة فصل الصيف، هدأ الصيفُ، وجلس مع أولاد الفلاح ومع النسائم والعواصف والأعاصير والزوابع تحت شجرة المشمس.

أهّل وسهّلَ الجميعُ بفصلِ الصيف،
ثم تابعَ الرجلُ حكايتَهُ:

–ومع شـــروق الشـــمس، كان الفتيان والفتيات جميعاً في الأرض الغربيّة. وكان الإقطاعيّ يقف على هضبةٍ مرتفعة منها، وبصوتٍ حادّ يقول:

–هيّا اعملوا، ما لكم تقفون كالبُلهاء؟ هيا احصدوا سنابل القمح الذهبية.

كانت عيون الحاضـرين ذليلة.. لا يعرفون ماذا يفعلون..

وفجأة،

صاحتْ إحدى الفتيات:

–هل جُنِنْتَ؟ ألا ترى أنه لا أثر للســـنابل هنا؟ ألم تعد تميّز بين الصحراء والحقول؟

طبعاً، قبض عليها حرّاس الإقطاعي وسيضعونها بين القضبان حتى الصباح التالي حيث

سيشهد الجميع طرْدَها...

وحْدَهُ ذلك الشـاب كان قد أحضـر معه منجلاً، كان يحزم بيده الهواء كما يحزم الحاصدُ السنابلَ، ثم يضـرب منْجِله، ليقطع سـوق السـنابل. حصـد صـفّاً من الهواء وكأنه يحصد قمحاً حقيقياً. ثم حصد صفّاً آخر من الهواء، وعندما بدأ يحصد صفاً ثالثاً، صاح به الإقطاعي:

-أنتَ.. تعالَ إليَّ.

اقتربَ الفتى غير خائف، ووقف على مقربة من حصان الإقطاعي.

-ماذا تفعل؟

-أحصد.. أنفّذ أمرَكَ.

-أين ما حصدته؟ لماذا لم تأكلْ منه؟

ذُهِل الحاضـــرون. لكنّ الفتى عاد إلى المكان الذي وصـلَ إليه وهو يحصـد وتابعَ صـفاً ثالثاً من

سنابل الهواء. في هذه اللحظة، اقتربَ فصلُ الصيف من الشاب وأخبرهُ ما الذي سيفعله.

وضـــع الفتى المنجلَ على الأرض، ودعك كفَّيْهِ كمَنْ يدعك بضـــعَ حباتٍ من القمح، ونفخَ عليها لتطيرَ قشـورُها، وكمن يأكل حنطةً حقيقية يضــع ما في كفّيْهِ من هواءٍ في فمه، ويمضغ..

يتعجّب الإقطاعيُّ من هذا الفتى، ويُناديهِ قائلاً:

–من علّمَكَ كلَّ هذا؟

يحاول الشاب إخفاءَ ارتباكه، ويجيب:

–كما تَرى، لم يُعلّمني أحد.

–وحدك سـتأتيني غداً بعد الظهر إلى قصـري، مُحضـراً معك أخلصَ صـديق، وألدَّ عدوّ، وخيرَ من يكتمُ سِرّاً.

وصل الشاب إلى بيته كئيباً، محزوناً، وباكياً..

أدرك والده العجوز المشـــلول ما يعتري ابنـه،

وقال:

-هل استنتجتَ شيئاً؟

كانت دموع الفتى الحرّى تقطع إجابته بين كلمةٍ وأخرى:

-نعم يا أبي لقد استنتجتُ أنّ الإقطاعي يريد أن يعرف هل هناك رجلّ عجوز في قريتنا، أم أنه قد طردهم جميعاً.

هزّ الشيخ الكبير رأسهُ، ومُكفكفا دموع ابنه قال:

-ماذا طلب منك بعد ذلك؟

-كأنك كنت معي. لقد طلب مني أن أُحضر له أخلص صديق، وألدّ عدوّ، وخير من يكتم سراً.

ضحك الرجل، وقال:

-لا يوجد أسهل من هذا الطلب.

فتح الابنُ شدقيهِ على مصراعيهما متسائلاً:

-وكيف؟

–هاتِ أذنكَ.. فأنتَ تعلم بأنّ للجدران آذاناً.

ومع إشـــعاعاتِ الشـــمس الأولى قبّل الفتى يد والده مغادراً إلى حيث أرشدَه..

ركض الشاب في طريق وعرةٍ ستوصلهُ إلى جبلٍ فيه مغارةٌ. لاهثاً، دخل المغارة ليقابلَ فصل الشتاء.

عندما ذكر الفلاّحُ اسم الفصل الذي سـيقابله الفتى، جاء فصـل الشـتاء إلى المجتمعين تحت شـــجرة المشـــمش، واســتأذنهم بالجلوس، فرحّبوا به ضــيفاً عزيزاً، صـافح فصـل الصـيف، وأصـغى لبقيّةِ الحكاية:

–كان فصــل الشــتاء جالســاً على صــخرةٍ في المغارة يُهيّئ نفســه لأشــهُرِه. ضــوءُ المصــباح الذي يحمله الفتى أفزعه قليلاً، وحين أخبره الشـــابُّ بأنّ والده أرســله إليه ليجيبهُ عن ســؤاله، اعتزّ الشــتاءُ بنفســه، وجلس كحكيمٍ هرمٍ على صــخرته مســتمعاً

للسؤال:

–مَنْ برأيكَ أخلص صديق لي، أو لأيّ إنسان؟

–هل لديكم في البيت كلب؟

–نعم، فأنت تعرف أنّ أهل القُرى لا يستطيعون العيش بلا الحيوانات، كالغنم والماعز والإبل والبقر، والدجاج، وخاصة الكلب.

–هل وصلكَ الجوابُ؟: سألَ الشتاءُ الفتى.

–بكلِّ تأكيد، أشكرك.

ثم أسرع الشاب إلى النبع المتدفّقِ من الأرض المقابلة للجبل، حيث الربيع يغسل وجهه في المياه الباردة، النقيّة..

–أسعدتَ صباحاً يا فصلَ الربيع: سلّم الفتى.

–وصباحُكَ سعيد: رَدَّ الربيعُ.

وبينما يُحدِّث الرجلُ أبناءه الثلاثة والرياح وفصل الصيف والشتاء، بهدوءٍ

انضمَّ إليهم فصلُ الربيع ليستمع:

سأل الفتى:

-منْ ألدّ عدوّ؟

نظر فصل الربيع مَليّاً في الأفق، مُنقّلاً بصره بين السماء والجبل والنبع، ثم أجاب:

-هل في بيتكم خادم؟

-أيعقل أن يكون عدوَّنا خادمنا الذي نعامله أنا وأبي كأخٍ عزيز؟

ودّع الشاب فصلَ الربيع غير مصّدقٍ ما يسمع، واتّجه راكضاً بأقصى قواه إلى المكان الأخير الذي دلَّهُ والده العجوز عليه. قطعَ الفتى الأحراج ووصل إلى غابة مليئة بمختلف الأشجار، كان الخريفُ يجلس على أحد الأغصان العملاقة يُحصي الأوراقَ التي سيسقطها. رمى الشاب التحية على فصل الخريف الذي ردَّها بتحيَّةٍ حارة.

هنا، انسحبَ فصلُ الخريف الواقف وحيداً خلف شجرة المشمش، انسحب من وحدته، ومبتسماً جاء ليشارك الجميع في الجلسة.

نظر العجوز صاحبُ الحقل إلى الرياح المجتمعة حوله، وإلى الفصول التي نسيت صراعها والتفّتْ حولها، وبسرورٍ أكمل:

مرهقاً: سأل الفتى الخريف:

–قصدتُك لأجل هذا السؤال: مَنْ هو خير من يكتم سِرّاً؟

قهقهَ الخريف. قفز من الغصن إلى التربة، وأجاب:

–ألمْ يخطرْ لك بأنّ الحمار لا يفقه شيئاً. لذلك هو خير من يكتمُ سرّاً؟

ثم عاد الخريف إلى الغصــن، ودموعهُ من كثرة الضحك كانت تُبلّل وجه الشاب.

بغتةً، صمت العجوز، ولم يتابع القصة.

–لماذا تصــمت؟ من فضــلك إحْكِ لنا ما حدث بعد ذلك؟: سألتِ الرياحُ والفصول.

قال العجوز بكلِّ إصرار:

–لن أخبركُم قبل أن تتصالحوا جميعاً.

عنـدئـذٍ، فهِمَ أولاده الثلاثـة أنـه كـان يتكلّم مع الرياح والفصـــول، فاعتذروا منه، مُتمنّين أن يحكي لهم ما جرى بعد ذلك.

–حسـناً يا أبنائي، سـنتابع، ولكنْ، ليس قبل أن تتصافى الفصول والرياح.

نهضـــتِ الفصـــول باحترام وتصـــافحت وقبّل بعضــها بعضــاً، وكذلك فعلتِ النســائم والعواصــف والأعاصــير والزوابع. ثم كلٌّ من الرياح والفصــول

تعاهدوا على محبّةٍ تُقاوِمُ كلَّ الظروف.

–هل كلّ منكم راضٍ الآن بأشهره؟

بصـوتٍ واحد، أجاب الصـيف والشـتاء والربيع والخريف:

–بل نحن فرحين بأشهُرِنا.

–وأنتِ يا رياح، هل نزعتِ النقمةَ من قلبك؟.

–لا نقمة على أحد بعد الآن.

–إذنْ، إليكم خاتمة القصة:

قبل الظهر، عاد الشـــاب إلى والده. كان الأب العجوز يعرف الأجوبة، لذلك، قال لابنه:

–لا وقت لـديك خُـذِ الكلـبَ والخـادمَ والحمـار واذهبْ إلى قصر الإقطاعي.

تماماً، بعد الظهر، كان الفتى قد وصـــل إلى القصر.

من الشرفة المزركشة، قال الإقطاعي:

–هل أحضرتَ ما طلبتُهُ منك؟

–نعم، فهذا الكلبُ هو أخلص صديق.

–وما دليلُكَ؟.

ضـــربَ الفتى كلبَهُ بالعصـــا، فهربَ بعيداً، ثم صاحَ عليه الشابُّ رامياً العصا على الأرض، قائلاً:

–هاتِها..

حمل الكلب العصـــا بين أســـنانه ووقف أمام الشاب.

–أَأُخبركَ من هو كاتمُ سرّي؟.

–لو لم أكن أريد ذلك، لمَا طلبتهُ منك.

اقترب الفتى من الحمـار، وهمسَ في أُذنـه، ثم قال للإقطاعي:

–اسألهُ ما أسررتُ له.

بُهِتَ الإقطـاعيُّ من ذلك، وقبلَ أنْ يتفوّهَ، قـال الشاب:

–ستعلم الآن مَنْ هو ألدّ الأعداء.

أخذ الشـاب العصـا من فم الكلب، وضـربَ بها خادمَهُ الذي قفز وصرخ:

–يا ســـيدي العزيز، إنـه يُخبّئُ والده العجوز، المشلولَ في بيته، في غرفة المؤونة.

باحَ الخادمُ بالسرِّ، فاصْـفرَّ وجه الفتى ليس لأنَّ الإقطاعيَّ سيطردهُ، بل، لأنه سيطردُ والدهُ.

بلمحِ البصـــر، غاب الإقطاعيُّ عن شـــرفتهِ، وظهرَ أمام الفتى الخائف.

–هيا إلى بيتكم: بلهجةٍ غير غاضـــبة خاطب الإقطاعيُّ الشاب.

كلٌّ منهما ركب حصـــانَهُ ولم يتكلّما معاً طوال الطريق.

دخل الشاب على والده شبهَ منهار، ووراءه يقف الإقطاعي.

رحّبَ والدُ الفتى بضـيفهِ وطلبَ من ابنهِ أنْ يقدّمَ له شيئاً يشربه.

جلس الإقطــاعي قرب فراش العجوز، وبحزنٍ قال:

–اعذرني يا شــيخنا المبجَّل، فقبل الآن، لم أكن أدرى بأنَّ لكبار السـنّ كل هذه الأهمية. تعلّمتُ منك أن أكون منذ الآن رجلاً آخر، وكم أنا مرهق الروحِ من ظلمي للناس ومن طغياني. كنتُ أحســـبُ أنّ المُلْكَ وحده يجعلني قوياً، آمراً، ناهياً.

–ربما ســـيعذرك أهل القرية عندما ســـتُلَبّي ما أطلب منك، فهل تسمح بأن أصرّح عن ذلك؟.

بيدَيْنِ تهزّان صـــينية الشـــاي، دخل الفتى على والده وضيفه.

تناول الإقطاعيُّ كأسَ الشـاي شـاكراً. اسـتغربَ الفتى تصرُّفات الإقطاعي الغريبة.

تُرى، هلا فعلاً هو مجنون، أم أنــه أصـــبح عاقلاً؟: همسَ الشاب في نفسه، وجلس.

–وما طلبُكَ أيها الشيخ؟

–هل تَعِدُني بتنفيذه؟

–أعِدُك..

–أن تصـــبح رجلاً خيّراً، وأن تُعيدَ الناس الذين طردتهم جميعاً، وأنْ تعيش بين أهل القريـة وكـأنـك واحد منهم.

–أهذا كل شيء؟

–نعم، هذا كل شيء.

–لك ما تريد، لكن مقابل شرط.

–ما هو؟

–أن تأتي أنتَ وابنُكَ وتقيمان معي في قصري.

يرغب الجالسـون تحت شـجرة المشـمش بانتهاء الحكايـة، لكنّ الرجل العجوز الذي كـان يَسْـــردُها

لأبنائه وللريح وللفصول، ولكَ، قال:

–وهكذا انتهتْ هذه القصـــــةُ التي وجدَها يوماً والدي في أرضه.

–وهل توجد في الأرض حكايات؟: اســـتفهمتِ الرياح.

بهدوءٍ أجاب الرجل:

–لقد وجدها والدي مكتوبةً على لوحٍ طينيّ، دفنتْهُ عواملُ الطبيعة، من فصول ورياح وسنوات.

كانت الشـمسُ قد توسّـطتِ السـماءَ، وتلألأتْ صـافيةً على حقل العجوز الذي نهض مُودِّعاً الرياح والفصول، سالكاً مع أولاده الثلاثة طريقاً ستؤدّي إلى بيته.

ومنذ تلك اللحظات،

وبعدما سمعتِ الفصولُ هذه الحكاية،

صارت تأتي في مواعيدها على مَرّ السنين..

الفهرس

الإهداء 7
كلمات البحر 9
أين أمّي؟ 23
النايُ والحوريّة...................................... 33
الخنساء في الحديقة 49
هل ترحل مع السنونو؟ 69
البلبل والساحر 91
سؤال البرتقالة 109
الفصول المجنونة................................... 119
الفهرس 149
صدر للكاتبة:... 150

■■■

صدر للكاتبة:

1-ألياذة الدم /شعر/ دار الحوار/ 1997

2-نشور الأزرق /شعر/ دار المرساة/ 1998

3-أوديسّا البنفسج /شعر/ مركز الإنماء الحضاري/ 1999

4-الفارس الأزرق /قصة الأطفال/ الهيئة العليا لجائزة قصة الطفل العربي- أبو ظبي/ 1997.

5-فتاة التفاحة/ حازت جائزة وزارة الثقافة السورية، وستصدر عنها- 2000.

6-برزخ اللهب /رواية/ دار آرام/ 1999

7-قلق النص /نقد/ قيد الطبع

■■■

رقم الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية

الفصول المجنونة: قصص للأطفال/ غالية خوجة- دمشق:
اتحاد الكتاب العرب، 2001 -
148ص ؛17 سم.

1- 813.01 ط خ و ج ف 2- العنوان
3- خوجة

ع- 2001/5/891 مكتبة الأسد

❑❑